أوتار البهجة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ-٢٠١٨م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

اسم الكتاب	: أوتار البهجة
اسم المؤلف	: عبد المقصود محمد
الغلاف	: عبد الرحمن حافظ
التصحيح اللغوي	: خالد رجب عواد
الطبعة	: الأولى
رقم الإيداع	: ٢٠١٧/٢٧٩٩٤
الترقيم الدولي	: ٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-١٣٥-٩

٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠ – مدينة نصر - القاهرة
ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠
ghorabpublishing@hotmial.com

أوتار البهجة

عبد المقصود محمد

دار غراب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى كل أُمٍّ مُنيت بطفل معوق...

(١)

استيقظت من نومها على ترديد كلمة "لا"، تلفَّتت حولها وتمنت ألا تكون نجوى قد سمعتها، فركت عينيها برفقٍ، واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم، تذكَّرت بعض ملامح الكابوس وتفاصيله: كانت تحملُ ابنها وائل وتصرخ وهي تُقاوِمُ طليقها عاصم الذي ينتزعه من حضنها، تتلفت وتنادي حاتمًا لينقذها منه، تراه يحمل طفلته زوزو بينما تطوقه نجوى بذراعيها، تلفتت حولها فتأكدت أنها في بيت نجوى، تنفست الصعداء وهزت رأسها مُردِّدة في نفسها: "مستحيل.. حاتم لن يكون لي أبدًا!"، نظرت في ساعتها، قامت للوضوء، صلت الفجر وختمت صلاتها بالدعاء، لم تجد لديها رغبة في مواصلة النوم، اتصلت بطمطم وسألتها بصوت خفيض عن حالة وائل، أخبرتها أنه استفاق وسأل عنها فأبلغته طمطم أن ماما ذهبت تشتري له الحلوى، وصدقها فنام وهو لا يدري ما به، اطمأنت وشكرت طمطم، تلفتت حائرة،

لديها شوق جارف للذهاب إلى المستشفى والجلوس قرب طفلها، لكن الوقت ما زال مبكرًا وصاحبة البيت نائمة، خرجت لتجلس بغرفة المعيشة، رأت باب المكتبة مفتوحًا، دخلت لتقرأ كتابًا يُسليها، لاحظت كثرة الكتب الدينية، صحيح أن بها كتبًا علمية وطِبِّية، لكن غالبية الكتب في الدين والفقه والشعر والتصوف، والأخيرة تحتلُّ رفًّا كاملًا بعرض المكتبة، كتب عن: محيي الدين بن عربي، الحلاج، رابعة العدوية، عبد الله بن المبارك، السهروردي، جلال الدين الرومي، عمر بن الفارض، الحسن البصري، ابن عطاء الله السكندري، وغيرهم من أئمة التصوف الإسلامي، مدت يدها وتناولت ديوان الحلاج، تصفحته فتوقفت عند قوله:

أدنو فيبعدني خوفٌ فيُقلقني
شوق تمكَّن في مكنون أحشائي

فكيف أصنعُ في حبٍّ كلفت به
مولاي قد مل من سقمي أطبائي

قالوا تداوَ به منه فقلت لهم
ياقوم هل يتداوى الداء بالدائي

انتابها شعور بالحرج وحدثت نفسها في أن صاحبة البيت قد تكون قرأت هذه الكتب وحينئذ سيكون سهلًا عليها اكتشاف ما تعانيه من ارتباك وشرود ذهني، أغلقت الكتاب وأعادته ثم تناولت كتاب: "شهيدة العشق الإلهي: رابعة العدوية" للدكتور: عبد الرحمن بدوي،

قرأت فعرفت حقائق أخرى عن السيدة رابعة تختلف عن الشخصية التي صورها الفيلم السينمائي، جذبتها الحياة الشخصية لتلك الزاهدة التي عاشت العبودية ثم تحررت ومرت باختبارات صعبة لتدرك أن الحياة الدنيا وهم كبير، تأثرت يارا بنزعة الزهد عند رابعة العدوية، وتاقت أن تكون شاكرة مثلها، أحست بأنها مقصرة، ولم تستوعب دروس حياتها وعِبرها جيدًا، فحياتها ليست وقفًا على زواج فشل وانتهى أمره، أو قصة حبٍّ تُفضي لزواج آخر يعلم الله إن كان يسعدها أم يُشقيها، فلماذا لا تتعقل وتتأمل تفاصيل حياتها بحكمة لتدرك أن الله هو مدبر كل شيء ومثلما ابتلاها بطفل لديه عاهة، رزقها بمن يأتي من آخر أطراف الكرة الأرضية، ليدلها ويساعدها في علاج ابنها، وها هي بوادر الشفاء تلوح في الأفق، فهل شكرت الله كما يجب، ألا يستحق الخالق العظيم أن تشكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، سندت ظهرها على وسادة إسفنجية واستسلمت لطوفان الذكريات التي انطلقت من عقلها الباطن كسرب حمام يرفرف بجناحيه محلقًا في سماء الله الشاسعة ومبتعدًا نحو الأفق الممتد بلا نهاية.

***

أدت الوفاة المفاجئة للسيد إبراهيم الباجوري إلى اندلاع موجة من التطلعات والأحلام واشتعلت المنافسة بين كبار موظفي البنك، كل منهم يتطلَّع لارتقاء منصب رئيس البنك وظهرت ملامح الصراع في الهمس واللمز والغمز وهم يتوافدون على سرادق العزاء ثم شحذ كل

منهم أقوى ما يملك من وسائل التملق والمحسوبية والواسطة، ليفوز دون غيره بالمنصب الرفيع.. مرت أيام وكل منهم يتفانى لتجميل صورته عند ذوي النفوذ.

ويسعى بخبث ودهاء لضرب منافسيه تحت الحزام وتشويه صورتهم في دائرة اتخاذ القرار، لإضعاف موقفهم التنافسي، جرى كل هذا تحت سمع "يارا سعيد أبو النور" وبصرها، السيدة التي استنكرت صراعهم المحموم للقفز إلى المنصب، دون مراعاة لحق الزمالة ومودة السنين الطويلة التي عاشوها معًا في هذا البنك، وقضوا فيه وقتًا أطول مما يقضونه مع أهليهم، فنأت بنفسها عن تلك المعارك الزائفة وأعلنت أنها لا تفكرولا تريد التقدم لهذا المنصب رغم جدارتها وأقدميتها التي لا ينكرها أحد، إنها في بداية العقد الرابع من عمرها، تتصف بدماثة الخلق والجمال الهادئ والذوق الرفيع، تزهو أينما حلت كزهرة فيحاء رائعة، لسانها لا ينطق الا حسنًا وابتسامتها تجود بها حتى على من يختلف معها.. إنها سيدة رائعة تعامل الجميع بنزاهة وثقة واعتداد بالنفس مع تواضع نبيل كأنها ملكة غير متوجة، هكذا نجحت وحققت أرقامًا قياسية في إدارة الائتمان ورغم إعلانها الخروج من السباق على منصب رئيس البنك فإن الجميع كانوا يتوجسون من احتمال فوزها به، وفي خضم ذلك الجو العاصف، دخلت مكتبها ذات صباح إحدى الزميلات لتزف إليها خبرًا حصريًّا وصلها من أحد أقاربها ذوي النفوذ وأعلنته بطريقة استعراضية:

- مدام "يـــارا"، هل عرفت من الذي فاز بمنصب الرئيس؟

- لا فرق عندي، فكلهم زملاء أعزاء.

- الرئيس الجديد ليس من زملاء البنك.

- ألم يختاروا أحدًا من هنا؟

- لا.. إنه مـصرفي شـهير، لديـه خـبرة دوليـة بأوروبـا وأمريكـا، يقولون إنه ديكتاتور وسيعيد بناء أنظمة البنك.

- أتمنى أن يكون الأصلح وأدعو له بالتوفيق.

- ألستِ مهتمة؟

- ما دمتُ أُجيدُ عملي وأؤديه بإخلاص فلن يفرق معي من يكون الرئيس.

- لكنه لو كان ديكتاتورًا متسلطًا سينغص علينا ويتعبنا.

- العمل ليس به تـسلط، ومـا دمنـا نلتـزم بمعـايير الجـودة فلـن نختلف.

- إني أحسدك على ثقتك بنفسك وهدوء أعصابك.

- اهتمي بعملك وكفى.

انتشر الخبر وأصيب المتنافسون بخيبة أمل، لكن الألسن لم تتوقـف عن ترديد الشائعات والأقاويل عن المحظوظ ابن المحظوظة الـذي فـاز دونهم بالمنصب الرفيع.

وبعد أيام قليلة، فوجئوا ذات صباح بمن جاء قبلهم وظل قابعًا في سيارته أمام مدخل البنك، وحينما فُتح الباب وبدأ توافد الموظفين، استوقف أحدهم وسأله:

- من فضلك، دُلني على جراج البنك لأضع فيه سيارتي.

- الجراج خاص بالموظفين فقط، أما العملاء فيتركون سياراتهم بمكان الانتظار.

- إذن دلني على الجراج.

- قلتُ لك إنه خاص بموظفي البنك وحتى لو سمحنا لك فسيارتك الفارهة هذه ستأخذ مكان سيارتين.

- أعدُك أن أبدلها بسيارة أصغر.

- حينئذ ستجد لها مكانًا في الشارع بسهولة.

- أأنت من موظفي البنك؟

- نعم.

- وأنا الرئيس الجديد للبنك، فهل لسيارتي مكان بالجراج؟

- أكيد.. معذرة، أنا آسف.

- لا عليك، دلني فقط على الجراج.

وبينما توجه الرئيس الجديد بسيارته الفارهة إلى الجراج، اندفع الموظف وأذاع خبر وصول الرئيس، فهبت عاصفة من الأسئلة، لم يرد

الموظف على أيٍّ منها بـ: "لا أعرف" ولكنه تطوع بالوصف والتحليل والفُتيا بما لا يعلم، فأكد لهم صورة الديكتاتور القادم ليتوعدهم بالويل والثبور، فشعروا بالإحباط وخيبة الأمل وظنوا أنهم سيواجهون نسخة القرن الحادي والعشرين من الحجاج بن يوسف الثقفي.

وما هي إلا لحظات حتى دخل "حاتم عز الدين"، مرتديًا بدلة آخر موديل، ماشيًا في ثقة، وتفوح منه رائحة عطر رجالي مميز، وأخذ يطوف على كل موظفي البنك، يصافحهم بتواضع قائلًا:

- أنا حاتم عز الدين رئيس البنك، فهل أتشرف باسم حضرتك؟

وبعد أن قدم نفسه لكل العاملين، توجه إلى مكتبه، رن جرس التليفون على مكتب السيدة "يارا" مديرة الائتمان، ورفعت السماعة فبادرها بصوته الوقورالمميز:

- مدام يارا.. من فضلك أريد التحدث معك.

- أنا قادمة حالًا.

وضعت السماعة وهي تفكر بقلق:

- فيم يريدني بهذه السرعة؟ ألديه ملاحظات عن عملي؟

قطعت الشك باليقين، فقامت متوجهة إلى مكتبه، نقرت بطرف إصبعها على الباب فسمعته يجيبها:

تفضلي.

فتحت الباب ودخلت فقام عن مكتبه ومشى إليها يستقبلها بابتسامة هادئة، صافحها باهتمام ودعاها للجلوس ثم فاجأها بالجلوس على المقعد المقابل ولم يرجع إلى جلسته خلف المكتب وقال:

- مدام يارا.

- نعم أستاذ حاتم.

- قبل مجيئي اطَّلعت على السيرة الذاتية لكل العاملين بالبنك وجمعت معلومات كافية عن سير العمل، وحينما مررتُ على الزملاء لتقديم نفسي والتعرف إليهم كونت ملاحظات إضافية عن كل منهم: بعضهم لم يكن متحمسًا لوجودي، بعضهم كان متوترًا، بعضهم كان حياديًّا، وبعضهم لم يبالِ، إلا أنتِ شعرت أنك سعيدة بوجودي وقابلتني بابتسامة صافية وتحدثت إليَّ بكلمات يفوح منها الصدق، أحسست بطاقة إيجابية تنبعث منك كشعاع يمنحني الأمل وينير لي الطريق.

- أشكرك على هذا الإطراء.

- صدقيني، لا أجاملك ولكني أصارحك بما رأيته منك.

- أشكرك.

- أعرف أنك مديرة ائتمان ناجحة ومتميزة ولكني أستسمحك أن تضعي نفسك مكاني فتكتبي تقريرًا عما كنت تنوين عمله لتطوير البنك لوكنت مكاني.

- أتطلب مني ذلك وأنت القادم بخبرات متراكمة في العمل المصرفي بأوربا وأمريكا؟

- الظروف هنا تختلف، والعمل الناجح يعتمد على تبادل الرؤى للوصول للأفضل.

- لا بأس، عن إذنك.

- تفضلي وأنتظر منك تقريرًا مُفصَّلًا عن رؤيتك لسير العمل بالبنك.

خرجت وهو يتأملها بأعجاب شديد، سمع جرس هاتفه الجوال، نظر في شاشته فقرأ اسم دكتور جاكي زوجته الأمريكية من أصل لبناني تحدثه من ولاية فلوريدا، يعرف أنها عادت من المستشفى حسب فروق التوقيت، ولو بدأ التحدث إليها ستعطله عن العمل، وإن حاول أن يلفت نظرها ستغضب وتتعصب، لذلك آثر السلامة ولم يرد لتفهم أنه مشغول... عادت يارا إلى مكتبها وهي تقاوم إغراء شخصية حاتم بوسامته وأناقته وذوقه الراقي وثقته بنفسه، جلست أمام جهاز الكمبيوتر، مدت أصابعها، تحرك "الماوس" وهي تحاول أن تمنع نفسها من التفكير في ذلك الرجل الساحر، فجأة دخلت زميلتها الفضولية وسألتها هامسة:

ها، ماذا طلبتِ من المدير الجديد؟

لستُ في حاجةٍ لشيء لكي أطلبه.

هل أبلغته بأسماء من كانوا يتطلعون للمنصب.

عبير، كفاكِ فضولًا وارجعي إلى مكتبك.

يا لك من ذكية! المدير وسيم وأنيق ويبدو أنه...

عبير، لست متطفلة مثلك والسيد المدير هو الذي طلبني ولم أفرض نفسي عليه كما تظنين!

وما انطباعك عنه؟

عندي عمل كثير أريد أن أنجزه، من فضلك لا تعطليني.

أوك..

قالتها عبير وهي تكتم غيظها وخرجت لتدور على المكاتب وتهمس سمومها عن ذكاء المطلقة يارا التي بدأت تحوم حول المدير الجديد وترمي شباكها عليه، وتحول همسها إلى مضغة نتنة يلوكها ضعاف النفوس، دون خوف من الله أو مراعاة لحق الزمالة.

(٢)

أدرك حاتم عز الدين أنه مُقبل على مهمة عسيرة، فالناس هنا لم يتغيروا، ما زالت تصرفاتهم وأفكارهم محكومة بعقد النقص والأنانية، رغم بطء العمل لاحظ أن كم المشكلات التي صُبت في مكتبه من أول يوم لا تُبشِّر بالخير، فإنه شديد الثقة بقدرته على التحدي والصمود والنجاح، لأنه لم يأتِ حبًّا في الترقي أو شغل منصب أعلى، لقد أتي ليحقق مشروعه الاجتماعي، بالتواصل مع أهله وتأسيس أرضية تساعده على جلب أسرته الصغيرة: زوجته وابنته، زوجته التي تنحدر من أصل شرقي، فأحبها وتزوجها ليفاجأ بأنها تشبعت بأفكار الأمريكان وطباعهم لدرجة أنها تكره اسمها العربي (نجوى) وتفضل عليه اسم (جاكي) الذي أطلقوه عليها للتدليل ولبعض الشبه بينها وبين نجمة السينما جاكلين كيندي، ورغم الحب الذي جمع بينهما، أدرك بعد الزواج صعوبة ترويضها، فهي معتدة بشخصيتها لدرجة

الأنانية، وكم وقعت بينهما خلافات، فإن حبه لها وإنجابهما الطفلة التي منحها اسم أمه (زينب)، أدى به إلى تهدئة الأمور والصبر ومعالجة الخلافات بالحكمة حتى يحافظ على أسرته، وكان حرصه على تربية ابنته على القيم والمثل العليا التي تربى عليها، هو الدافع لقبوله المنصب، فجاء وحيدًا ليعيد ترتيب حياته ويجلب أسرته ويُعيد زرعها في المجتمع الشرقي مرة أخرى.

كانت كل المشكلات التي تحول إليه أو تصبُّ في مكتبه سببها تردد الموظف وخوفه من اتخاذ القرار أو عدم المرونة في التعامل مع العملاء، فكان يستدعي الموظف ويوجهه ألا يتردد أو يخاف من تطبيق اللوائح، ما دامت الضمانات التي أخذها على المقترض كافية، ويبعث في نفسه الثقة ويذكره أن البنك هو الأقوى فيسروا ولا تعسروا، اجتهد في لقاء كل مديري الإدارات، ليتعرف إليهم عن قُربٍ ويضع النقاط فوق الحروف من أول يوم، كان آخرهم علاء التوني مدير الحسابات الجارية، الذي دخل منفوشًا كالطاووس، وحينما سأله حاتم بطريقة مهنية عن عدد حسابات رجال الأعمال لديه، وعدد الموظفين الذين يحولون رواتبهم إلى حساباتهم بالبنك وعدد الهيئات المحلية والأجنبية التي تتعامل بحسابات جارية مع البنك، كانت ردود السيد علاء غير مرضية، تلعثم وانكمش في مقعده، فأدرك حاتم أنه أمام مدير فاشل ومحدود القدرات، تخاصمه روح الابتكار والإبداع، فوجَّهه إلى ضرورة بذل مجهود أكبر في الاتصال بالعملاء، سواء كانوا أفرادًا أو هيئات،

وعمل الدعاية اللازمة لإقناعهم بتفضيل التعامل مع البنك، وتحويل كل تعاملاتهم المالية إليه، وقبل أن ينتهي من حديثه، أبلغته السكرتيرة أن أحد كبار العملاء يريد لقاءه، فسمح له بالدخول، قدم الرجل نفسه باعتداد:

- أدهم الجبوري صاحب مجموعة الجبوري الاقتصادية.

- أهلًا وسهلًا، تفضل.

أشار إلى مقعد أمام المكتب، فجلس الرجل في مواجهة مدير الحسابات الجارية الذي ابتسم وصافحه في مودة ثم التفت إلى حاتم قائلًا:

- أستاذ حاتم.. الحاج أدهم الجبوري من أشهر رجال الأعمال ومن أهم عملاء البنك.

- تشرفنا، أهلًا وسهلًا.. اتفضل، شاي أم قهوة يا حاج أدهم؟

- شكرًا، يكفيني مودتك وحُسن استقبالك يا حاتم بك، وأسف لتعطيلك، ولكن عندي مشكلة مع السيدة يارا سعيد مديرة الائتمان.

- حالًا نستدعيها ونبحث الأمر.

- للأسف، هي غير موجودة.

ألقى حاتم نظرة خاطفة على ساعة الحائط فوجدها تشير إلى الثانية والنصف ظهرًا، فتدارك الموقف وقال:

- الحقيقة أنها مكلفة بعمل ما في البنك المركزي، ويبدو أنها ستتأخر، قل لي: ما المشكلة؟

- احتجتُ قرضًا إضافيًّا للمصنع الجديد فطلبت مني ضمانات وأحضرتُها فلم أجدها.

- هذه فرصة طيبة لأتعرف إلى حضرتك، ويمكنك أن تترك معي الأوراق والمستندات وغدًا سأبحث معها الأمر، فاذا احتجنا إليك سنتصل بك.

- شكرًا حاتم بك.

- ثق دائمًا أننا نعمل لصالحك.

قدَّم الرجل ملف أوراقه لحاتم وخرج مبتسمًا راضيًا، لكن حاتم التفت إلى علاء يسأله باستهجان:

- ألا تلتزمون بمواعيد العمل هنا؟

- نلتزم بها طبعًا أستاذ حاتم.

- فلماذا غادرت يارا مكتبها مبكرًا هكذا؟

- ربما عندها ظرف طارئ وهذا لا يحدث كثيرًا، يارا ملتزمة جدًّا.

- أهي متزوجة؟

- كانت متزوجة من ابن عمها عاصم أبي النور الإعلامي الشهير وصاحب قناة "نزهة" الفضائية.

- أتقصد أنها الآن مطلقة؟

- نعم، لكنها ابتليت بطفل معوق ينكد عليها عيشتها!

- مسكينة.

قالها حاتم في تأثر، ثم ختم حديثه مع علاء التوني قائلًا:

أريدك أن تعد خطة لزيادة عملاء البنك والترويج للخدمات البنكية التي نقدمها.

أمرك سيدي.

***

كانت يارا منهمكة في مراجعة بعض المعاملات وفجأة انتبهت إلى رنة قصيرة مميزة من هاتفها الجوال، تناولته باهتمام وضغطت أحد الأزرار، فظهرت على شاشته، غرفة ابنها وائل وقد تملكته نوبة صرع، فأخذ يتلوى ويتشنج والممرضة الفلبينية تحاول تهدئته وتعد حقنة الدواء، وتعوقها حركته الزائدة وتشنج أطرافه، وخوفها من كسر إبرة الحقنة في جسمه، انفطر قلب يارا حُزنًا على فلذة كبدها، تركت كل الملفات على مكتبها وانتفضت واقفة تردد: "لطفك يا رب".

تناولت حقيبتها وخرجت متجهة إلى الجراج، ركبت سيارتها وانطلقت وهي تضع الهاتف على حامل فوق تابلوه السيارة، كانت تقود وعينها مترددة ما بين متابعة الطريق والنظر إلى شاشة الهاتف، وقلبها

يخفق كلما زادت حركة ابنها تشنجًا إلى أن رأت الممرضة تجلس فوقه وتسيطر تمامًا على أطرافه، ثم تغرز طرف إبرة الحقنة في ذراعه وتضغط بهدوء وثقة، لينساب منها الدواء إلى جسمه، وتنهض من فوقه وقد هدأت حركته واسترخت عضلاته وغامت عيناه مستسلمًا للنوم، مالت نحوه الممرضة وحملته بين ذراعيها ثم وضعته في السرير، تنفست يارا الصعداء وهمست:

- سلمت يداك يا طمطم.

كانت تشعر بالتقدير لهذه الممرضة الفلبينية التي تقوم برعاية "وائل"وتشاركها أو تخفف عنها بعض المعاناة التي تعيشها وتتجرعها وحدها بعد أن حمَّلها زوجها مسئولية إنجاب طفل معوق ذهنيًّا وحركيًّا، فتنكر له ولها وانسحب ليتزوج امرأة أخرى، ثم يطلق يارا ليطوي الصفحة ويمسح من ذاكرته أن طفلًا من ذيى الإعاقة يحمل اسمه، توقفت يارا بسيارتها في جراج العمارة، نزلت مهرولة إلى المصعد وخرجت منه لتفتح باب شقتها بلهفة ونادت:

- طمطم.. طمطم.

- اطمئني سيدتي، لقد نام.

- كم استمرت نوبة الصرع هذه المرة.

- خمس دقائق حتى تمكنت من إعطائه الدواء.

- سأتصل بالطبيب المعالج.

طلبت الدكتور سامح المشرف على علاج طفلها وائل، فسألها عن المدة ما بين كل نوبة والتالية لها، ثم هدأ روعها وطمأنها بأن التحسن سيزيد مع الوقت، وأنه في الزيارة القادمة سيغير صنفًا من الدواء.

توقفت أمام سرير وائل، تأملت ملامح وجهه البريء، اعتصر قلبها الألم، انسابت الدموع على خديها، اقتربت طمطم وربتت على كتفها بحنو:

- اطمئني، إنه بخير.

- لولا غلطة طبيبة الولادة لكان الآن طفلًا سويًّا بالصف الأول الابتدائي، يتحدث معي ويسليني ويُؤنس وحدتي ويملأ البيت لعبًا وكلامًا وحركة.

- قد تكون غلطة الطبيبة هي اختبار من الله، فلا تجزعي، لعل الله يلهم من يكتشف العلاج قريبًا.

- متي يا طمطم؟ متي؟ إني أعيش على هذا الأمل.

- إن شاء الله.

- مستعدة أدفع كل عمري وأرى وائل حبيبي سليمًا معافًى كأقرانه من الأطفال.

- اسألي الله له الشفاء، وكوني واثقة بالجواب، فالله رحيم بعباده.

- اللهم اشْفِه بعطفك وكرمك فهو قرة عيني وأنت أعلم بحالي.

- في كل صلاة أدعو له بالشفاء.

- أنت بلسم روحي يا طمطم، كلامك يريحني ويخفف آلامي وأوجاعي.

- أحبك من قلبي مدام يارا.

- حبيبتي، أنا أيضًا أحبُّك جدًّا وأشكر الله أن بعثك لي.

- بعد أن تبدلي ملابسك وتصلي ستكون المائدة جاهزة.

- شكرًا حبيبتي.

كانت تعاملها كأخت لها ولا تبخل عليها بأي شيء، جلست تشاركها الطعام الذي أعدته طمطم تطوعًا، وكانت يارا تتذوقه وتأكله بأعجاب فتشجعها وتثني على ثقافتها الغذائية الراقية، التي تجعلها تفضل الخضار المسلوق مع المشوي من اللحم أو السمك وتتفنن في أنواع المقبلات والسلاطات وخلال تناولهما الطعام تسألها يارا عن إخوتها الذين تنفق على تعليمهم هناك في بلدها الفلبين، فتطمئن عليهم وتشجع طمطم بأن أجرها لن يضيع عند الله. وبينما هما تتسامران وتشربان الشاي الذي أعدته يارا، أفاق وائل من نومه ونادى بأصوات غير مفهومة:

- أومواااي..أوو مواااي.

- وائل.. وأوولى حبيبي، اشتقت لك يا روحي.

جرت إليه فحملته من السريروأخذت تقبله وهو يتمسح بها كقط أليف عثر على صاحبه، وضعته في الكرسي المتحرك، أقبلت طمطم مبتسمة فاقترحت عليها يارا:

- أظنه بحاجة إلى حمام ينعشه.
- دعيه لي وسوف أحممه بالشامبو والماء.
- وأنا معك لأساعدك.

أخذته طمطم إلى الحمام، وفتحت يارا خزانة ملابسه، اختارت له الثياب ولحقت بها.

(٣)

رغم إلحاح والده أن يخصص له جناحًا في بيت الأسرة، أصر حاتم على تجهيز منزل مستقل، تفاديًا لحدوث انتقاد من الأسرة لبعض تصرفات زوجته، ويكفيها ما يفرضه عليها العيش في مجتمع محافظ، يلزمها باتباع تقاليده وعاداته في اللبس والكلام والتعامل مع الآخرين، كان يخرج بصحبة أحد أقاربه، أو أصدقائه القدامى، لمعاينة العقارات والأبراج السكنية وأحيانًا يصور واجهة العمارة ومدخلها وغرف الشقة، ويرسل الصور لزوجته، لكي تُبدي رأيها، وتشاركه الاختيار، ويقضي عدة ساعات يوميًّا في التواصل مع زوجته وابنته ورؤيتهما عبر مواقع التواصل، وقد يؤدي ذلك إلى اضطراب مواعيد نومه واستيقاظه، إلا أنه يحرص على الوجود في مكتبه قبل الآخرين، دخل هذا الصباح، فأخبرته السكرتيرة أن السيدة "يارا" تركت له تقريرًا، وضعته على مكتبه، تعجب من وصولها مبكرًا هكذا، وقدَّر أنها ربما

تحاول تعويض انصرافها المبكر بالأمس، أخذ يتصفح تقريرها باهتمام، أثار دهشته ضخامة التقرير واعتماده على بيانات وأرقام دقيقة، واحتوائه على توصيات ومقترحات لإصلاح وتطوير نظم العمل بالبنك، وزيادة الخدمات الإلكترونية التي يقدمها البنك لعملائه، وكلما تعمق في القراءة ازداد إعجابًا، فلم يترك الملف حتى قرأ كل كلمة فيه، رفع سماعة التليفون مبتهجًا وقال:

- يارا هانم.. صباح الخير.

- صباح الخير أستاذ حاتم.

- تقريرك رائع، أريد التحدث معك في بعض التفاصيل، فهل أجيء إليك أم تأتين أنت؟

- كما تريد أستاذ حاتم.

- تفضلي أنتِ كيلا يُفهم مجيئي إليك بطريقة خاطئة.

- إني قادمة.

وضع السماعة وفي ذهنه عشرات الأسئلة لا يدري بأيها يبدأ، استقبلها بمودة وجلس قُبالتها ثم بادرها مبتسمًا:

- لو طُلب مني هذا التقرير فلن يكفيني لإنجازه أسبوع كامل..فكيف تأتي لك هذا في ليلة واحدة؟

- حقيقة، التقرير كان جاهزًا عندي وكل ما فعلته، أني راجعته وأجريتُ عليه بعض التعديلات.

- أشكرك لصراحتك، لكني ما زلتُ مندهشًا لأن مثل هذا التقرير لا يكتبه إلا من يعد نفسه لقيادة البنك.

- كان المرحوم إبراهيم بك الباجوري الرئيس السابق للبنك ينوي استحداث وظيفة نائب لرئيس البنك، ولكي يؤهلني لهذا المنصب، كلفني بإعداد هذا التقرير، وقبل أن أُقدِّمه فوجئنا بوفاته.

- وأنا أُثني على اختيار إبراهيم بك لك وسأنفذ رغبته ضمن خطة تطوير البنك.

- كل ما يهمني هو الارتقاء بالبنك بصرف النظر عن الموقع الذي أشغله.

- أقدر فيك إيثار المصلحة العامة وأشكرك.

- لا شكر على واجب، بإذنك أستاذ حاتم.

قامت فاستوقفها وقدم لها أحد الملفات:

- هذه المستندات، أحضرها لك بالأمس أدهم الجبوري ولم يجدك.

- للأسف، اضطررت للانصراف مبكرًا لظرف طارئ.

- أرجو أن يكون خيرًا.

- الحمد لله.

- أعانك الله، تفضلي.

خرجت من مكتبه وهو يتابعها بنظرات الإعجاب، ويشعر بالسعادة لوجود مثل هذه المرأة الرائعة معه، باغته صوت السكرتيرة تخبره رغبة مدير الحساب الجاري في لقائه، فسمح له ومن لحظتها انهمك في العمل، حتى آخر النهار، فحمل حقيبته وخرج يجر قدميه من شدة الإنهاك والتعب.

في المساء، كان على موعد مع ابن عمه سيف الدين، لمعاينة شقة في برج الأطباء، بوسط العاصمة، وفي شارع قريب من محل عمله بالبنك، توقفا بالسيارة أمام البرج، نزلا منها فأشار سيف نحوه قائلًا:

- برج الأطباء هذا لا يسكنه إلا علية القوم، الجراج أسفل البرج، والأربعة طوابق الأولى عيادات ومكاتب إدارية ومن الخامس تبدأ الشقق السكنية، وللبرج مدخل شمالي ومدخل جنوبي، وبه أربعة مصاعد كبيرة.

لحظة دخولهما تسمَّر حاتم في مكانه، تاركًا ابن عمه يمشي متجهًا إلى غرفة البواب، ألجمته مفاجأة رؤيته السيدة "يارا" وهي تخرج من المصعد، خلف خادمة فلبينية تدفع طفلًا فوق مقعد متحرك، في نفس اللحظة لمحته "يارا" فتجاهلته تمامًا وتشاغلت بالتحدث إلى الفلبينية همسًا، وخرجت معها وهي تدير وجهها للجانب الآخر، رجع سيف ومعه البواب، فوجد حاتمًا يتطلع باهتمام للمرأتين، فسأله:

- حاتم.. أتعرف هاتين؟

- هه، نعم، إحداهما زميلتي، يبدو أنها تسكن هنا.

- ما اسمها؟

- يارا.

التفت سيف إلى البواب:

- هل السيدة يارا هذه تسكن هنا؟

- لا.. ربما تتردد على أحد الأطباء هنا.

- إن معها طفلًا من ذوي الحاجات.

- لعلها تُعالجه بعيادة الدكتور سامح.. هيا بنا.

صعد معهما البواب إلى الطابق العاشر، فتح باب الشقة، تركهما يطوفان بغرفها واهتم حاتم بالتقاط صور للشرفة والاستقبال والمطبخ والحمام، ولما سأل البواب عن السعر النهائي، أعطاه رقم تليفون مسئول البيع، فشكره حاتم ونزل مع ابن عمه الذي سأله وهما يركبان السيارة:

- هل أعجبتك الشقة؟

- أراها مناسبة جدًّا ولكن المهم أن تعجب زوجتي.

قضى السهرة يسترجع ذكريات الطفولة والصبا مع والديه وإخوته، فضحكوا كثيرًا واستمتعوا بأطايب ما تعده أمه من أكلات مميزة يعشقها ويشتاق إليها.

ولما صعد إلى غرفته، انشغل بالاتصال بزوجته ليطمئن عليها وطفلته "زوزو" وصف لزوجته الشقة التي رآها وأرسل إليها صورًا

لها، واستقبلتها "جاكي" بفتور، متعللة بأنها ستقارن بينها وبين صور الشقق السابقة ثم تُكوِّن رأيها، كان حاتم يستحثها على الكلام ويستدر منها البوح بأخبارها، كأنه يقطر ماء بمرجل بخاري ضعيف، أخيرًا استسلم للنوم، وهو مكتظ بشحنة سلبية محبطة، وعلى صوت المنبه استيقظ في الصباح الباكر، تقلب في سريره بكسل، تذكر أنه على موعد اليوم مع اجتماع مجلس إدارة البنك، لعرض خطة إصلاح العمل بالبنك وتطويره، نهض فتوضأ وصلى، تناول فطوره وهو يقلب القنوات الإخبارية ويتابع نشاط البورصات وأسعار العملات، نظر في ساعته، قام فاختار بذلة وربطة عنق، ارتدى ملابسه وحمل حقيبته، قابل أمه في الهول، فقبَّل يدها وخرج مصحوبًا بدعائها له بالتوفيق والسلامة من كل شر، كان اجتماعًا غير دوري لمجلس إدارة البنك، عُقد بناء على طلبه، ليأخذ موافقتهم على خطته العاجلة لإصلاح البنك، بتقديم خدمات جديدة، وإرسال بعض العاملين لدورات تدريبية، واستحداث وظائف جديدة، كان حاتم يحظى بتقدير الجميع، فوافقوا على خطته بالإجماع، وبعدها التقى بالدكتور شريف العطار صاحب مستشفى العطار الدولي، وأحد أهم أعضاء مجلس إدارة البنك، تظاهر حاتم بأن اللقاء لتبادل وجهات النظر على هامش اجتماع البنك، ثم تحين الفرصة وسأله مباشرة إن كان الوقت مناسبًا لمجيء زوجته الدكتورة نجوى كرامي من أمريكا؟، وبلا تردد وعده شريف العطار بإنشاء قسم خاص لها في مستشفاه بمجرد حضورها، فشكره حاتم وخرج مطمئنًّا إلى أن عودة زوجته وابنته ستكون ميسرة وبلا خسائر،

عاد إلى مكتبه متفائلًا، يشعر بلذة النجاح، وتفيض منه طاقة إيجابية، تشع من بريق عينيه، وابتسامته الصافية، التي قابل بها السيدة يارا ودعاها للجلوس ثم هنأها:

- مبارك.

- على ماذا؟

- من الآن أصبحتِ نائبًا لرئيس البنك.

- أنا؟!

- نعم، رشحتُك للمنصب فوافق مجلس الإدارة.

- لكني..

- لكنك ماذا؟

- غير مُهيَّأة فاقبل اعتذاري.

- مستحيل.. لم أتخيل قط أنك أنت بالذات تتخلين عني وأنا أسعى لتطوير البنك.

- المشكلة ليست فيَّ أنا لكي أقبل أو لا أقبل.

- مدام يارا، أنا لا أفهمك، من فضلك صارحيني بكل مخاوفك.

- أولًا أشكرك على هذه الثقة الغالية ولا تساورني أي مخاوف أو شكوك في أنك ستنجح بعون الله، لكني أدرك حجم المسئولية وأعرف أنني لستُ جاهزة لها.

- بالعكس أنت كفء لها وأنا مقتنع بقدراتك المهنية ولا أجاملك.

- ظروفي الخاصة لن تساعدني وأخشى أن أخذلك.

- حقًّا لقد نسيت، مدام يارا، لا تخجلي أبدًا من أن لك ابنًا مريضًا فكلنا بين يدي الله.

- هل عرفت؟

- رأيتُك ليلة البارحة وفهمت أنك كنت بابنك في عيادة الطبيب.

تنهدت يارا بعمق واغرورقت عيناها بالدموع، فسحب منديلًا ورقيًّا قدمه لها قائلًا:

- اعتبريني أخًا لك، أعلم أننا في مجتمع ذكوري لا يرحم المطلقة وأقدر معاناتك ولكني معجب بك وبصمودك في مواجهة الصعاب، أنت سيدة قوية وناجحة فلا تبكي أبدًا..

- شكرًا على حسن ظنك بي، وأعفني من قبول هذا المنصب الرفيع.

- هل طمأنك الطبيب على طفلك؟

- الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

- ماذا به؟

- يعاني شللًا رُباعيًّا.

- هل وُلد هكذا؟

- قضى في بطني تسعة أشهر وهو في منتهى الصحة والحيوية والروعة وكنت أحسُّ بكل حركاته وأتحرق شوقًا لولادته بفارغ الصبر.

- رائع شعور الأمومة.

- طبيبة الولادة كانت تتابع حالتي وتطمئنني على الجنين، وحينما اقترب موعد الولادة كنت خائفة، وأسألها باستمرار كيف ستتم الولادة وطلبت منها أن تتم الولادة بطريقة طبيعية، وألا تشوه بطني بعملية قيصرية.

- هذا حقك.

- بل هذا غبائي وأنانيتي، فقد واجهت الطبيبة صعوبات في أثناء الولادة ولم تلجأ لعملية قيصرية كما أوصيتها، بل شفطت الجنين بآلة حادة، فضغطت على رأسه الضعيف بقوة وأصابته بإعاقة، أصبح طفلًا معوقًا!

- هذا قلة خبرة من الطبيبة وخطأ مهني لا ذنب لك فيه.

- من يومها وأنا أتعذب لمعاناته وأشعر أنني السبب فيما جرى له.

- ولماذا لا تعتبرين هذا ابتلاء من الله لك ولزوجك الذي أظنُّ أنه إنسان مثقف..

- هذا المثقف آثر الانسحاب وتركني وحدي للمعاناة والآلام.

- طلقك؟

- نعم.

- وما ذنبك أنتِ، يا له من نذل؟!

- لا تشتمه، ربما لديه عُذره، لقد اعتبرني السبب، فأنا المخطئة، ماذا كان يضيرني لو تمت الولادة بعملية قيصرية وخرج ابني سليمًا؟ كنتُ أنانية، وجنيتُ على طفلي..

أجهشتْ بالبكاء، فناولها حاتم منديلًا آخر وقال مهدئًا:

- سامحيني إن كنتُ قد أثرتُ أحزانك وقلبت عليك المواجع.

سادت بينهما لحظة صمت وهي تمسح دموعها وحاتم يشعر بالحرج ويتمنى لو أنه لم ينكأ جراحها، وفجأة لمعت في ذهنه فكرة فقال لها:

- مدام يارا، أحيانًا تجمعنا أقدارنا ونلتقي لأسباب لا ندركها ويعلمها الله، فربما أرسلني الله إلى هنا في هذا التوقيت لأمد لك يد العون.

- هه، كيف؟ ألك أقارب أطباء؟

سألته يارا بتحفز وشغف، فاستطرد قائلًا:

- زوجتي الدكتورة نجوى كرامي، طبيبة أمريكية من أصل لبناني، تعمل في مستشفى ميامي لطب الأطفال بولاية فلوريدا وتخصصها الدقيق هو الشلل الرباعي في الأطفال.

- حقًّا؟

- أعطني التقارير الطبية الخاصة بطفلك، فأرسلها لزوجتي وأطلب مشورتها.

- أتقصد امكانية علاجه بأمريكا؟

- معلوماتي أن الطب هناك تقدم كثيرًا ونجحوا في علاج حوالي خمسين بالمائة من حالات الشلل الرباعي، ربما يكون ابنك من هؤلاء.

- يااه، كلامك أثلج صدري وأحيا فيَّ الأمل، غدًا سأحضر لك ملفًّا بكل التقارير وصور الأشعة.

- تمسكي بالأمل وكوني على ثقة بأن الله الذي ابتلاك واختبر صبرك لن يخذلك.

- ونعم بالله، إنني أعيش على هذا الأمل.

- أنتِ امرأة رائعة واليوم تأكدت أن تقديري لك في محله.

- أشكرك، بإذنك.

وقامت فاستمهلها مبتسمًا وقال:

- انتظري، لقد وضعتني في ورطة.

- أنا؟

- اليوم صدر القرار ولن أتنازل عنك نائبًا لي، فاقبلي وتوكلي على الله.

ابتسمت بصعوبة وقالت في استحياء:

- قبلت.

- مبارك.

(٤)

بمجرد إعلان قرار ترقية السيدة "يارا" نائبًا لرئيس البنك، هاجت النفوس الضعيفة، وتسربت الأقاويل والشائعات، فمن قائل بأن زوجها المليونير والإعلامي الشهير صديق لرئيس البنك، ومن قال إن رئيس البنك وقع في حبها، ومن قال إنها امرأة داهية وتعرف من أين تؤكل الكتف، وطاشت السهام هنا وهناك، ليسقط بعضها على مرأى ومسمع السيدة يارا والسيد حاتم، فلم يلتفت أحدهما لهذه المهاترات، عملًا بمقولة:"دع الكلاب تعوِي والقافلة تسير".

مرت أيام فهدأت العاصفة وسكنت نفوس الضعفاء كمدًا وغيظًا، حاول علاء التوني أن يتودد إلى حاتم بمعسول الكلام وهو يطلب منه أن يختاره مديرًا للائتمان، خلفًا للسيدة يارا، تعجب حاتم وسأله ضاحكًا:

- ألست مقتنعًا بوظيفتك مديرًا للحسابات الجارية؟

- لا، إنما إدارة الائتمان أهم.

- ولأهميتها اخترت أحد العاملين بها ممن تتوفر لديه الخبرة، ليبنى على ما حققته السيدة يارا من إنجازات.

- إنه مجرد اقتراح لأنني..

- مرفوض، وقد رشحتك لدورة تدريبية بأحد البنوك السويسرية مدة شهر.

- حقًّا، أشكرك حاتم بك.

- أرجو أن تستفيد من هذه الدورة مهنيًّا لكي تطور إدارتك.

- أعدك بذلك.

في اللحظة نفسها، دخلت السيدة يارا وفي يدها بعض الملفات، هنأها علاء بحرارة على منصبها الجديد متمنيًا لها دوام التوفيق، فشكرته وانصرف، ضحك حاتم بصوت مسموع، فسألته وهي تجلس أمامه:

- ماذا يضحكك؟

- يقولون: شر البلية ما يضحك، فلا تهتمي.

فهمت ما يعنيه فهزت رأسها مبتسمة، ثم مدت يدها نحوه:

- هذه ملفات المرشحين لدورات تدريبية.

- دعك من هذه الملفات وقولي لي..

أخرج من الدرج ظرفًا كبيرًا واستطرد:

- لقد تصفحت التقارير وصور الأشعة الخاصة بطفلك وائل، صحيح أنني لست متخصصًا، لكن أدهشني أنك تجدين وقتًا لرعاية وائل والاهتمام به، وأيضًا تتميزين في عملك، كيف تفعلين كل هذا؟

- تربيت على الإخلاص في العمل، والتوفيق من الله عز وجل، لقد رزقني الله ممرضة فلبينية متميزة، تجيد التعامل مع طفلي، فتعطيه الدواء بانتظام، وتعد له الطعام المناسب، وتلين عضلاته بأجهزة التقويم، إنها حقًّا مبهرة، أعتبرها أختًا لي وهدية من الله.

- هذا جزاء إخلاصك في العمل، أحييك فأنت بطلة.

- أشكرك.

- والآن، أخبريني بمن ترشحينهم للتدريب.

كانت متعاونة جدًّا مع حاتم، فاعتبرها ذراعه اليمنى، واعتمد عليها في تطوير العمل بالبنك، فهي تركز كل اهتمامها في عملها، مطمئنة إلى إخلاص طمطم في رعاية وائل، ومن وقت لآخر تُلقي نظرة سريعة على شاشة هاتفها المحمول، فتنقل لها الكاميرات المثبتة في سقف بيتها، صورة ابنها وماذا تفعل طمطم معه، وبمجرد أن تطمئن، تغلق الهاتف، وتمضي قُدمًا في إنجاز عملها.

***

تذكرت وعدها لطمطم أن تمنحها مبلغًا من المال، لتشتري به ملابس، ترسلها لإخوتها قبيل حلول العام الدراسي، فلما وجدت حالة وائل مستقرة، دعتها للخروج في المساء، وقدمت لها المبلغ الذي وعدتها به، توجهتا إلى مركز تجاري يُقدم تخفيضات كبيرة، اختارت يارا مكانًا بأحد الكافيهات، داخل المركز التجاري، جلست مع طفلها وائل، بينما انطلقت طمطم لشراء الملابس لإخوتها، طلبت يارا "آيس كريم" بالفواكه، وبدأت تطعم منه طفلها وتتحدث إليه وهي تتخيله شابًّا وسيمًا وقد عفاه الله من الإعاقة، فجلس قبالتها بقامة ممشوقة، يتحدث إليها في ثقة ومودة، كعاشق نبيل.. انتبهت من حلمها الجميل، على صوت حاتم يحييها، وهويقترب منها، ارتبكت من وَقْعِ المفاجأة وقامت تمد يدها لتصافحه فسألها:

- أكيد هذا وائل؟

- نعم.

- يا له من طفل رائع!

- لكن الإعاقة تعذبه وتدمرني!

- بإذن الله سيُشفى، الطب يتقدم فلا تجزعي.

- هل أرسلت التقارير وصور الأشعة للدكتورة؟

- تعرفين فرق التوقيت، الليلة سأرسلها.

- أرجو أن يكون له علاج هناك.

- تأملي خيرًا.. والآن دعيني أطلب لك مشروبًا.

- أشكرك، أكلنا للتو "آيس كريم" وقد تأتي الممرضة فننصرف.

- انصرفي وحدك أما أنا فأريد أن أجلس وأتحدث مع صديقي وائل، ها.. وائل ماذا تشرب حبيبي؟

- أأا أأ..

- صدقني أكلنا آيس كريم منذ لحظات.

- دعيه يعبر عن نفسه.. ماذا تشرب حبيبي وائل؟

- أأ.. أسيييير.

- عصير.. وائل سيشرب عصيرًا فماذا تشربين؟

- كابتشينو.

جلس حاتم ملاصقًا لمقعد وائل، وظل يداعبه ويتحدث إليه طوال الوقت، وكان الطفل يبتسم له ويضحك أحيانًا لمداعباته ويكلمه بحروف وكلمات غير واضحة، لكن حدثت بينهما أُلفة وانسجام، فتمنت يارا لو كان والد طفلها أبًا حنونًا عطوفًا كهذا الرجل، لم يفهم حاتم بعض كلمات وائل فسألها باهتمام:

- ماذا يقول؟

- إنه يشكرك على العصير ويسألك عن اسمك.

- اسمي حاتم يا حبيبى، أنا عمو حاتم.

- حاااديم.

- أحسنت، نعم اسمي حاتم.

- حاااديم.

- إنه يفهمني ويعبر عن مشاعره بوضوح.

- وائل ذكي جدًّا، ولكن الإعاقة تكبله وتجعله غير واثق بنفسه.

- متي ظهرت عليه أعراض الإعاقة؟

- بعد ولادته لاحظت أن حركته ضعيفة جدًّا وغير طبيعية، ولما بلغ ستة أشهر صارحني طبيب الأطفال أنه سيعاني هذه الإعاقة.

- موقف صعب جدًّا.

- لدرجة أن والده لم يحتمل أن يكون له ولد معوق، فتخلى عنه وطلقني كأنني السبب.

- وكيف واجهتِ وحدك هذا الموقف؟

- كأن زلزالًا هدم سعادتي ودمر بيتي، حتى إخوتي ضغطوا عليَّ حتى لا أُقاضي الطبيبة ولا أُطالب طليقي بحقوق الطفل بحجة أن سمعة العائلة أهم!

- لا، هذا خطأ..وماذا فعلتِ؟

- ذهبتُ به إلى أكبر الأطباء بحثًا عن علاج بـأي ثمـن؟ حتـى لـو تطلب الأمر أن أتبرع له بجزء من جسمي.

- وماذا قالوا؟

- تعرف الأطباء، أمام الحالات الصعبة لا يعطون رأيًا قاطعًا لعـل الطب يتقدم ويفتح أبواب الأمل، لكنهم طمأنوني بأن الأذى الذي لحق به خلال عملية الولادة لم يؤثر في مركزي النطق والحركة بـالمخ، ولكـن الضرر في الأوتار أو الوصلات العصبية، التي يصعب التعامل معهـا في السن المبكرة، وكلما كبر ستزيد فرص العلاج، وهأنـا أعـيش عـلى هـذا الأمل.

- سيتحقق بعون الله.

أقبلت طمطم حاملة أكياس الملابس التي اشـترتها، فقـدمتها يـارا للسيد حاتم الذي صافحها باهتمام وشكرها على رعايتها لوائـل، حيتـه يارا واستأذنت للانصراف، دفعت مقعد وائل، متجهـة مـع طمطـم إلى بوابة الخروج.

***

في وقت متأخر من الليل، تحدث حاتم إلى ابنته وزوجتـه، فاطمـأنَّ عليهما ثم أخبرها بأنه أرسل لها صور التقارير والأشعة الخاصة بالطفـل وائل، وطلب منها أن تدرس حالته جيـدًا لمعرفـة إمكانيـة علاجـه مـن الشلل الرباعي، سألته:

- أهو ابن أحد أقربائك؟

صارحها بأنه ابن زميلة له في العمل، فوعدته ببذل أقصى جهـدها، ولم تمضِ دقائق بعد انتهاء المكالمة، إلا وطلبته لتسأل:

- حاتم، هل هذا الطفل يتكلم؟

- نعم ولكن بصعوبة وينطق بعض الحروف ممطوطة قليلًا.

- هل يسيل اللعاب من فمه؟

- نعم، أحيانًا.

- ألديه تبول غير إرادي؟

- لا أعرف.

- كم عدد نوبات التشنج التي..

- جاكي حبيبتي، لم أرَ الطفـل إلا مـرة واحـدة مـصادفة في مركـز تجاري.

- أريد أن أستوضح بعض التفاصيل لأن حالته ستفيدني في رسالة الدكتوراه.

- سأوافيك بالبريد الإلكـتروني لأمـه الـسيدة يـارا ويمكنـك أن تسأليها عما تريدين معرفته.

- هذه فكرة جيدة.

- وهل التقارير لا تعطي بارقة أمل؟
- أظن أنها ليست كافية.
- والعمل؟
- سأدرس حالته جيدًا وأقرر بعد ذلك بالاتفاق مع الأم.
- إنها حزينة لأجله فامنحيها الأمل.
- أكيد، اطمئن.

(٥)

اعتادت يارا أن تجهز طفلها وائل للنوم، فتلاعبه وتداعبه وتحكي له بعض الحكايات، وكانت تستمتع بضحكاته البريئة وتجاوبه مع تقليدها لأصوات الحيوانات، فجأة رن جرس التليفون، فأشارت إلى طمطم لكي ترد وتابعتها من بعيد، حتى أومأت لها طمطم وهمست قائلة:

- إنه أستاذ حاتم.

قامت وتناولت منها سماعة التليفون:

- آلو.

- يارا هانم، مساء الخير.

- مساؤك خير وبركة أستاذ حاتم.

- كيف حال صديقي وائل.

- بخير وكنتُ أداعبه وأحكي له قصة من كليلة ودمنة.

- أرجو أن تستمري في مداعبته وتـأخير موعـد نومـه الليلـة لأن زوجتي الدكتورة نجوى تريد رؤيته وسوف تتصل بك بعـد قليـل عـلى الإنترنت، فضعي الكاميرا لتتمكن من رؤية وائل والتحدث إليه.

- حالًا سأكون جاهزة.

- أخبريها بكل شيء عن وائل فهي مهتمة جدًّا بحالته.

- سأفعل وجزاك الله كل خير أستاذ حاتم.

- تصبحين على خير.

- وأنت من أهله.

وضعت السماعة وطلبت من طمطـم أن تـستمر في مداعبـة وائـل حتى تجهزاللاب توب، بعد قليل جاءها اتصال مـن أمريكـا، وظهـرت صورة الدكتورة نجوى، تلوح بيدها في مودة وتسألها:

- كيف حالك مدام يارا؟

- بخير دكتورة نجوى، أهلًا بك.

- أهذا هو صديقي وائل؟

- نعم.

- وائل، أنا هنا، انظر لي، هل تراني؟

نجحت الدكتورة نجوى في جذب انتباه الطفل نحوها وابتسم فسألته:

- من التي تجلس بجانبك هذه؟

- مااامااا.

- ومن أنا؟ هل تعرفني؟

- طننـ.. طنط.

- اسمي نجوى.. نجوى.

- نجاااواا.

- أحسنت، شاطر أنت، وأنا أحبك.

- أنا يـيـ..حب.. انتي.

- رائع، أنت رائع.

سألت يارا عن تاريخه المرضي: تطور حالته ومظاهر التشنج وهل الصرع مصحوب بضيق تنفس؟ وكم الفارق الزمني بين نوبة الصرع والتالية لها؟ وأجابتها يارا بدقة واستفاضة ثم سألتها بقلق:

- أهناك أمل في شفائه يا دكتورة؟

- بعون الله الأمل كبير جدًّا، وحتى الآن عالجنا نصف الحالات التي عرضت علينا.

- أهذه نسبة تطمئن؟

- نرجو أن يوفقنا الله فيكون ابنك ضمن هذه النسبة، ومن حسن حظه أن رسالتي للدكتوراه موضوعها الشلل الرباعي، لذلك سأتقدم بطلب لمستشفى ميامي للأطفال لعلاج وائل كحالة للدراسة، وهذا يتيح لك الاستفادة من خصم نصف تكاليف العلاج والعمليات الجراحية والإقامة بالمستشفى.

- وكم ستكون التكلفة؟

- يتم تحديدها بعد دراسة حالته ومعرفة أي عمليات سيتم إجراؤها له، وما الذي سيحتاجه من علاج.. لا تقلقي.

- لا أخفي عليك أنني مُستنزَفة من علاجه هنا وأتحمل المسئولية وحدي.

- ألهذا أراك مكتئبة؟

- أنا؟!

- الحزن واضح في ملامحك ونبرات صوتك، خلقك الله جميلة ولم يخلقنا الله تعساء بل نولد سعداء بالفطرة، تفاءلي وابتهجي، ابحثي عن السعادة تجديها، أما الحزن فلن يفضي بك إلا لتدهور حالة ابنك، فالمشاعر معدية ومن جاور السعيد يسعد.

- أشكرك على هذه النصيحة الغالية.

- الجئي إلى الله ليخلصك من همومك وأحزانك، لو فعلت ذلك ستشعرين بالراحة والبهجة وتعودين إلى حياتك الطبيعية.

- أشكرك دكتورة نجوى وسأعمل بنصيحتك.

- العالم به مليار معوق أي قرابة ١٥٪ من سكانه، منهم نحو مائة مليون أصابهم الشلل الرباعي، فهل استسلموا للمرض؟ لا.. معظمهم وفَّق أوضاعه ليعي ويستمتع بالحياة، وحقق المئات منهم نجاحًا منقطع النظير فتحولوا إلى أبطال ومشاهير في الرياضة والأدب والفن وأبدعوا في المهن اليدوية.

- كلامك أسعدني وأثلج صدري وأحيا الأمل في نفسي.

- أنصحك بقراءة رواية: "قدمي اليسرى" للرسام والكاتب الأيرلندي "كريستي براون" الذي تحدى إصابته بالشلل في ثلاثة من أطرافه الأربعة واستخدم قدمه اليسرى في الرسم والكتابة، فأبدع لوحات فنية رائعة وتألق ثم كتب سيرته الذاتية فتحولت إلى فيلم سينمائي يحمل عنوان الرواية نفسها: "قدمي اليسرى" وقام ببطولته الممثل: دانيال داي لوي.

- سأبحث عن الرواية لأقرأها.

- ولو دخلت على اليوتيوب يمكنك مشاهدة الفيلم وأيضًا ستشاهدين قصصًا لآلاف آخرين تحدوا الإعاقة ونجحوا فأصبحوا رموزًا للصمود والإرادة القوية في زمننا والأزمان اللاحقة.

- لكني أحلم برؤية ولدي وائل سليمًا معافًى.

- بإذن الله، ابنك حالته ليست معقدة، والأمل كبير في شفائه فاطمئني.

استمرت المحادثة بينهما لقرب الفجر، وكان وائل قد استسلم للنوم، فحملته طمطم إلى سريره، أغلقت يارا اللاب توب وهي تحس بشلال من الطاقة الإيجابية، يلفُّها ويتخللها ويتسرب من كل مسام جسمها، فيهدِّئ نفسها وينير عقلها بالأمل والتفاؤل والبهجة، حينئذ تعجبت من أمرها وسألت نفسها بدهشة:

- لماذا لم أجد طوال السنوات الماضية ممن يحيطون بي أحدًا مستنيرًا ولديه كل هذه الطاقة الإيجابية ليخفف عني الهم والحزن ويبعث في نفسي الأمل والبهجة التي بعثها حاتم وزوجته في عقلي فرفعت معنوياتي؟! لماذا يستسلم الناس هنا لليأس والإحباط عكس من يعيشون في أوربا وأمريكا ويملكون جرأة التحدي وإحياء الأمل؟ لماذا نفتقر لصناعة الأمل والبهجة هنا ونركن للفشل والعجز بسهولة؟ هل جيناتنا بها خلل؟ أم أن بيئتنا لا تنتج إلا الإحباط والفشل؟

أسئلة مهمة تصارعت في عقل يارا، كموج المحيط الهادر، ولم تدر بمرور الزمن، حتى امتدت إليها يد حانية، انتبهت لطمطم تسألها برقة:

- سيدتي، قومي إلى سريرك، فقد سهرت كثيرًا الليلة.

- أووه، آسفة جدًّا يا طمطم، اذهبي أنت للنوم حبيبتي، فوائل يتعبك بالنهار.

- وأنت سيدتي؟ ألا تنامين؟

- لا، فأنا سعيدة، اتركيني أستمتع بفيض الطاقة الإيجابية التي تملؤني وأعيد ترتيب حياتي من جديد، هيا، ادخلي يا حبيبتي.

- تصبحين على خير.

- وأنت من أهله.

تلفتت يارا حولها، كأنها ترى محتويات بيتها بنظرة جديدة، قامت، توضأت، صلت ركعتي شكر لله، تناولت المصحف، جلست تقرأ بصوت هامس، سمعت آذان الفجر، رددت مع المؤذن، وقفت تصلي بخشوع ورضا، بعد الصلاة رفعت كفيها تدعو وتبتهل إلى الله، بأن ينعم على ابنها بالشفاء، مشت متجهة إلى غرفة نومها، تمددت في السرير، حاولت أن تنام، راوغت أفكارها، اجتاحها شعور بالبهجة، شعور غلَّاب أفقدها توازنها، وجعل النوم يخاصم عينيها، قامت، أضاءت نور الغرفة، تأملت وجهها في المرآة، تذكرت كلمات الدكتورة نجوى، تأكدت أن الحزن قد لمس بشرتها، وخط على وجهها خيوطًا رفيعة من التجاعيد، فركت وجهها بكفيها متمردة، تأملته مرة أخرى في المرآة، نفخت الهواء بروح التحدي، تناولت ألبوم صورها القديم، جلست على حافة السرير، قلبت صفحات الألبوم، تأملت صورها منذ عشر سنوات، لاحظت الفارق الشاسع، اعترفت وصارحت نفسها، بصمة الحزن مست ملامحها، وانتقصت من رونق وجهها وبهائه، حتى ذوقها المميز بانتقاء موديلات ملابسها وألوانها، هو الآخر تبدل وصار

متشحًا بالوقار، فأكسبها مظهرًا أكبر من سنها الحقيقية، شعرت بالندم، قررت أن تتصالح مع نفسها، طوت الألبوم وقالت لنفسها:

- لعنة الله على الحزن! الحزن حماقة، لن يغير الحزن قضاء الله، الحزن يسلبنا عمرنا، والعمر محسوب علينا ولن نعيشه إلا مرة واحدة، فلماذا لا نعيشه في سعادة وبهجة؟ لم يخلقنا الله في الأرض لنحزن، بل خلقنا لنسعد ونعمرها بما يفيد ويبهج.

فتحت خزانة ملابسها، تأملت الفساتين والتاييرات والبلوزات التي أهملتها منذ سنوات، كم هي جميلة زاهية الألوان ومبهجة! تناولت فستانًا كانت تعشقه وتحب نقوشه الزهرية المتداخلة، كانت تلبسه منذ سنوات، فيمنحها شعورًا بأنها ملكة جمال، ارتدته وتأملت نفسها في المرآة، لم يتغير جسمها، بل صار أجمل وأنضج، ما زال الفستان رائعًا، يمنحها تألقًا وحيوية وبهجة، مشت به أمام المرآة وهي تلتفت وتتأمل شكلها فيه، أعجبها أن تكون هكذا، قررت أن تكون نفسها، فتساءلت:

- لماذا لا أرتدي هذا الفستان الرائع، وأتوجه إلى عملي في الصباح؟ ما الذي يمنعني من الاستمتاع بأشيائي الجميلة؟ لماذا أدع الوقار يطغى على ذوقي ويحرمني بهجة الحياة؟ من اليوم، بل من هذه اللحظة وداعًا للوقار والتجهم وكل سلالة الحزن، وأهلًا بالتفاؤل والأمل والبهجة.

(٦)

فوجئت طمطم بالمظهرالجديد، الذي خرجت بـه يـارا متجهـة إلى عملها، ابتسمت لها ورفعت إصبع إبهامهـا مؤيـدة ومـشجعة، فـسألتها يارا:

- طمطم، ما رأيك؟
- جميلة ورائعة سيدتي، حفظك الله.
- أيليق لون الطرحة مع لون الفستان؟
- جدًّا، منتهى الذوق والأناقة.
- طمطم،لا تجامليني أرجوك.
- صدقيني سيدتي.
- ألم تلاحظي شيئًا مختلفًا بوجهي اليوم؟

- به رقة..نضارة.. لمسة جمال.

- آااه منك يا رافعة معنوياتي، إنها بودرة المكياج، وضعت قدرًا بسيطًا منها لتخفي تجاعيد قليلة ظهرت بوجهي ولم تخبريني بها.

- هذا أفضل، وعطرك اليوم جديد ورائع، مف، مف.. الله.

- اكتشفت أنه عندي منذ سنوات ولم أستخدمه، لا أدري لماذا؟

- إنه مبهج ويضفي على مظهرك إحساسا بالغنى والفخامة، إنك تبدين في أوج أناقتك وكأنك ذاهبة لموعد غرامي؟!

- ها ها..هاها.

قهقهت يارا ضاحكة بفرح وأشارت بإصبع سبابتها نحو طمطم قائلة:

- أنت شريرة يا طمطم، ونيتك ليست خالصة.

- لماذا؟

- ألا تبتهج الأنثى أو تفعل ما يحلو لها إلا إن كان هناك رجل؟

- صدقيني لم أقصد ذلك.

- كان الرجل معي هنا يا طمطم، زوجي الذي كنت أحبه وأخلص له، وفي أول اختبار تركني وذهب يبحث عن سعادته مع امرأة أخرى، فلماذا لا أبحث أنا عن سعادتي ولا أنتظر رجلًا يحققها لي؟ كوني

نفسك يا عزيزتي، فالعمر لحظة من الزمن، إما أن تعيشيها لتسعدي أو تضيع منك فتندمي حيث لا ينفع الندم.. هل فهمتِ؟

- نعم، سيدتي أفهمك وأتفق معك تمامًا.

- إذن اطمئني، فالرجل الوحيد في حياتي هو ابني وائل، اهتمي به وعندما يصحو دلليه وساعديه على الاستحمام وارتداء ملابس جديدة وعطريه ليسعد وينتعش.

- سأفعل، اطمئني.

- مع السلامة.

قادت سيارتها، يملؤها شعور عميق بالبهجة، غيَّرت مؤشر الراديو إلى إذاعة الأغاني، دندنت مع صوت أصالة وصورة ابنها ترتسم في مخيلتها كشاب ناضج وسيم:

يمين الله، أحبك * حب ما له حدود**

وخلق الله ونجم * الليل عليَّ شهود**

عدد ما بالسما نجمات

عدد ما في الرياض ورود

يمين الله، أحبك * حب ما له حدود**

حاول بعض السائقين على الطريق معاكستها، فلم تأبه ومضت في طريقها، حتى ركنت سيارتها في الجراج ودخلت من باب البنك، بداية

من حارس الأمن وكل من مرت به، كان يرمقها بدهشة وقد يفتح فاه بذهول، أو يلتفت خلفها متعجبًا، وكانت تُلقي تحيتها على الجميع بكل ثقة، حتى دخلت مكتبها، جلست، تلفتت حولها، رصدت شيئًا لا يعجبها، ضغطت زر الجرس، دخلت السكرتيرة:

- أمرك يارا هانم.

- أرسلي أحد السعاة ليشتري مُعطرًا للجو.

- أهناك نوع معين تفضلينه؟

- أريده برائحة الزهور الطبيعية المنعشة: فل، قرنفل، ياسمين.

- حالًا سأرسل من يحضره.

- وأيضا أريد بوكيه ورد يبهج العين.

- سأفعل.

- اطلبي بوكيه ورد آخر لمكتب أستاذ حاتم.

- أتريدين كتابة شيء على بوكيه الورد؟

- لحظة واحدة.

تناولت قصاصة ورق وكتبت عليها بعض الكلمات ثم ناولتها لها قائلة:

- فليكتبوا هذه العبارة على بوكيه الأستاذ حاتم.

نفـذت الـسكرتيرة مـا طلبتـه منهـا، ولم تمـضِ بـضع سـاعات إلا وموظفو البنك يتهامسون، ويتـشدقون بقـصة حـب ملتهـب، بطلاهـا السيدة يارا وحاتم بك رئيس البنك، وانتشرت القـصة بيـنهم كـسريان النار في الهشيم، لم يكن حاتم قد شاهد يارا هذا الصباح، وفوجئ بأحـد السعاة، يدخل حاملًا بوكيه الورد ويسأله:

- أين أضع هذا البوكيه يا حاتم بك؟

- مَن الذي أرسله؟

- السيدة يارا.

- ضعه في الركن فوق المنضدة الصغيرة.. شكرًا.

قام وتناول الكارت الملصق بطرف البوكيه، قرأ:

"مع جزيل الشكر والعرفان لشخصكم الكريم: يارا أبو النور".

سأل نفسه بمزيج من الحيرة والدهشة:

- على أي شيء تشكرني يارا؟!

فكر حاتم ولم يهتدِ لأي سبب، فتوجه إليها لمعرفة السبب، مكتبهـا يفوح برائحة الزهور، وهي خلف مكتبها بفـستان رائـع، يزيـد إشراقـة وجهها ويبرز أنوثتها، فتبدو فاتنة كنجمات هوليوود، انعقد لسانه وهـو يتأملها بذهول كأنها ليست هي، رحبت به وابتـسامتها تـضيء وجههـا، والفرحة تلمع في بريق عينيها، والبهجة تفوح من عطرها والسعادة ترن في صوتها الدافئ، كشناشيل حسناء غجرية تدنو منه بألفة ومودة:

- أهلاً أستاذ حاتم، تفضل.

- في الحقيقة، لا أعرف ماذا أقول..

- لا تقل شيئًا.

كان حائرًا: أيمدح جمالها وذوقها الراقي؟ أم يسألها مباشرة عن سبب إرسالها بوكيه الورد؟ في تلك اللحظة، خطر بباله أنها ربما تكون قد تصالحت مع طليقها وعادت المياه بينهما إلى مجاريها، وتذكر جملتها الاعتراضية، عندما وصف طليقها بالنذل، فطلبت منه ألا يذكره بسوء واستنتج من ذلك أنها ما زالت مُتيمة بحب طليقها فإن كان قد عاد إليها لا بد أن تفرح وتبتهج هكذا، كانت تستغرب صمته وارتباكه، دعته للجلوس:

- تفضل أستاذ حاتم.

- اسمحي لي أن أهنئك وأقول مبارك، فالعود أحمد.

- مبارك؟! على ماذا؟

- واضح أنك تصالحت مع الأستاذ عاصم.

- أنا فعلاً تصالحت، لكن ليس مع طليقي، بل تصالحت مع نفسي، والفضل يرجع لك وزوجتك الفاضلة دكتورة نجوى.

- أنا وزوجتي؟!

- نعم، فأنت السبب في اهتمام الدكتورة بمشكلة ابني وتعاطفها معي واتصالها بي لتواسيني وتشجعني بكلامها الرائع الذي قلب حياتي رأسًا على عقب.

- نجوى اجتماعية جدًّا وخدومة لهذا أحببتها.

- أسعدني كلامها فلم أنم طوال الليل من فرط البهجة والطاقة الإيجابية التي منحتها لي دكتورة نجوى.

- أعرفها، في تلك الأمور هي ساحرة.

- الطيبون للطيبات فلولا أنك مثلها..

- أشكرك، يارا هانم، إنني أعتبرك أختًا لي، ولولا أنك تلقيت كلام نجوى بطريقة جيدة ما كان له مثل هذا الأثر فيك، فهي تقول هذا الكلام نفسه لمرضاها كل يوم والعبرة بالمتلقي الجيد مثلك، أنت سيدة رائعة، ذكية، مستنيرة العقل.

- أنا شديدة العرفان لك وللدكتورة نجوى، فقد فتحتما لي باب الأمل وأزحتما الكآبة والحزن من حياتي، فهأنا أفرح وأتشبث بخيوط الأمل حتى لو كانت واهية.

- أبدًا، لن تكون واهية بإذن الله، وسنبقى بجانبك حتى تفتح لك أبواب السعادة.

كانت قد ضغطت زر الجرس، تستدعي أحد العمال، وفي أثناء دخوله سمع آخر كلام حاتم لها، كلفته يارا أن يحضر لهما القهوة، فخرج

متحفزًا، وبمجرد وصوله إلى البوفيه أخبر زملاءه بما سمع، وأضفى عليه من خياله، ما يكمل الصورة، ليبدو رئيس البنك غارقًا في حب يارا، يتردد على مكتبها ليسمعها كلام الحب والغزل، وتناقلوا هذه الأكذوبة همسًا حتى انتشرت بين موظفي البنك، وقبل نهاية الدوام اكتملت أركان الشائعة، وتبلورت في أن حاتم يذوب في يارا عشقًا ويضغط عليها بشتى السبل لتقبل الزواج به.

(٧)

من عملاء البنك شخص انتهازي منعدم الضمير، بدأ حياته كاتبًا على الآلة الكاتبة، في صحيفة صفراء متخصصة في نشر أخبار الفضائح، وظل يتملق مرؤوسيه ويتنقل بين الوظائف المختلفة، حتى أصبح مديرًا لإنتاج البرامج، بقناة "نزهة" الفضائية،إنه "شوكت العنتيل" المقرب جدًّا من "عاصم بك أبي النور" صاحب القناة، ويعتمد عليه في حل المعضلات، بداية من التعاقد مع الفنيين إلى شراء الأجهزة ولوازم الديكور وكذلك استخراج التصاريح والموافقات الأمنية لأماكن التصوير، إنه شخص قميء ومكروه في الوسط الذي يعمل به، إلا أن عاصم بك يثق به ويعتبره صديقًا وليس مجرد موظف لديه، لذلك لا يبخل عليه ويُلبي طلباته بسخاء، ومع الوقت أصبح شوكت العنتيل مالكًا لودائع وحسابات في البنوك، ويحرص على تنميتها طوال الوقت، من خلال تردده على البنك، يحرص على تتبع أخبار السيدة يارا التي

يعرف تفاصيل ما جرى بينها وبين طليقها عاصم بك، وكان هو الذي شجعه على الزواج بمذيعة شابة، وشهد على عقد قرانهما.

خرجت يارا من مكتبها متجهة إلى إدارة التمويل العقاري، لمحت شوكت العنتيل جالسًا في الاستراحة، منتظرًا دوره حسب أرقام الدخول، تجاهلته تمامًا، لكنه اتجه إليها متملقًا:

- يارا هانم، بسم الله ما شاء الله، حفظك الله ورعاك، اللهم صلِّ على كامل النور.

- أهلًا شوكت، أتحتاج شيئًا؟

- أردتُ فقط أن أهنئك على منصبك الجديد.

- أشكرك.

- والله لقد أحسنوا الاختيار، فأنت كفء لأعلى المناصب وتستحقين كل الخير.

- شكرا، بإذنك..

ابتعدت وهي تشعر بالغثيان والقرف، لأنها تعرفه جيدًا، وتدرك أنه تعمد أن يرفع صوته ويلفت أنظار موظفي البنك إلى أنه يعرفها وتربطه بها علاقة وثيقة، لكي يراعوا ذلك في التعامل معه، لكن إشارة يدها وهي تنصرف عنه كانت دلالتها قوية، وأدرك شوكت أنها أزاحته من طريقها، وفوتت عليه انتهاز هذه الفرصة، فأوحت بذكاء لمن يراهما،

بأنها لا توليه اهتمامًا، عاد إلى مقعده في الاستراحة وقد استشاط غيظًا، جلس يهرش قفاه، أخرج منديلًا وجفف عرقه، لمح عامل البوفيه فناداه وطلب فنجانًا من القهوة، كان يغلي من الغضب، وكل تفكيره منصبٌّ على الثأر منها والكيد لها، وضع العامل القهوة أمامه، فسأله وهو يتناول الفنجان:

- قل لي، لماذا تغيرت السيدة يارا هكذا؟

- شخصيتها كما هي، ما زالت متواضعة.

- لا يا رجل، قبل الترقية لم تكن بهذه الأناقة والشياكة التي تفوق نجمات السينما.

مال عامل البوفيه عليه وهمس في أذنه:

- يقولون إنها تعيش قصة حب والله أعلم.

وهَمَّ بالانصراف، فأمسك شوكت يده ودس فيها ورقة نقدية قائلًا:

- واضح أنك تعرف الكثير، فمن العاشق الولهان؟ لعله مليونير كبير.

- يقولون إنه حاتم بك والله أعلم.

- من؟ حاتم رئيس البنك؟!

- أخفض صوتك.

- خُذ.

نفحه ورقة نقدية من فئة أكبر ومعها كارت به رقم تليفونه وأوصاه:

- أبلغني بالتفاصيل وسأكافئك.

- أأعجبتك القهوة؟

- رائعة، سلمت يداك.

ابتهج شوكت بما سمعه من عامل البوفيه، وبردت ناره، فوضع ساقًا فوق ساق وهز رأسه وهو يترنم بغنوته المفضلة:

"خلا لك الجو فبيضي وغردي"

ظهر على الشاشة رقم معاملته، فتوجه إلى موظف الشباك، وحاول أن يجره للحديث عن السيدة يارا، ولكن الموظف تجاهل سؤاله ونظر إليه شزرًا، فتراجع وأنهى معاملته ثم خرج، كان مكلفًا بشراء مواد خام لبناء ديكور أحد الاستديوهات، لكنه فضل تأجيل ذلك، والتوجه مباشرة إلى مكتب عاصم بك، لينفث فيه سمه، لعله يقوي مركزه في القناة، ويزداد تحكمه في صاحبها، فيحوله إلى خاتم في إصبعه، تمهيدًا لمساومته على شراء أسهم فيها أو مشاركته في ملكيتها.

***

وصل لحظة خروج عاصم من مكتبه محاطًا بكوكبة من المذيعات الفاتنات، اقتحم حلقة الفتيات، ولصق فمه في أذن عاصم هامسًا: أحمل لك أخبارًا مذهلة!

ارتبك عاصم وطلب من الفتيات أن يسبقنه إلى غرفة المونتاج، دلف إلى مكتبه يتبعه شوكت كظله، جلس وسأله بلهفة: خيرًا يا شوكت؟

استند بكفيه على المكتب، ومال نحو عاصم قائلًا بصوت كفحيح الثعبان:

- يارا هانم، طليقتك وأم ابنك وائل.

- أعوذ بالله، لا تذكرني بها.

- لقد حان وقت سعدها وتغيرت ثلاثمائة وستين درجة، ابتسمت لها الدنيا.

- أفصح عما لديك؟

- القطة البريئة تعيش قصة حب!

- لقد طلقتها ولا يعنيني أمرها.

- فاتك شيء مهم.

- أفصح.

- السيدة يارا الآن نائبة لرئيس البنك، واحتمال كبير أن يخلو المنصب لأي سبب فتصبح هي رئيسًا للبنك، فلو أخذت بنصيحتي، ستكون هي دجاجتك التي تبيض ذهبًا.

- ما زلتُ لا أفهمك.

- إنك تخوض منافسة شرسة مع القنوات الأخرى، وتطوير القناة سيكلفك أموالًا لا قبل لك بها، حينئذ ستحتاج لمن ينجدك ويمنحك قروضًا بلا ضمانات أو بشروط ميسرة.

- كيف وقد أسأت إليها وطلقتها؟

- ما كسر يمكن رأبه وإصلاحه ومهما يحدث بينكما فأنت ابن عمها وأولى من الغريب.

- لكن هذا يتطلب أن أُعيدها إلى عصمتي.

- وماذا يمنعك؟ الغاية تبرر الوسيلة.

- مديحة سترفض وتطلب الطلاق.

- هدية من الألماظ ستجعلها راضية، فتجمع بين الزوجتين يا شهريارعصرك.

- قد تشترط يارا أن أطلق مديحة!

- حينئذ يمكنك أن تراوغها لكسب الوقت وتخدعها بكلام معسول حتى تذعن للأمر الواقع.

- لا، يارا عنيدة، أعرفها جيدًا.

- وما قولك إذا أطفأنا شعلة الحب وأفزعنا حبيبها الولهان لينجو بنفسه ويهرب؟

- أفصح، ماذا ستفعل يا إبليس؟

- عندي مَن يتسلل ويتسمع أخبارها وقد نسجل أحاديثها مع العاشق الولهان ونلتقط صورًا لهما، ثم يأتي دورك فتهددها وتبتزها لتقبل شروطك وتصبح خاتمًا في إصبعك.

- وهل هذا قانوني؟

- حينئذ ستدعي أن سلوكها شائن ولا تأمنها على طفلك.

- شوكت، اخرج..أنت إبليس، اخرج.

- هكذا أنت دائمًا، لا تعجبك أفكاري إلا بعد تنفيذها.

- إني أحذرك، يارا ليست سهلة.

- إبليس أقوى منها.

- لعلمك، سأتبرأ منك إذا وقعت في مشكلة.

- مع إبليس كن مطمئنًّا.

قالها وخرج يقهقه ضاحكًا كشيطان صغير يقتفي خُطا جده إبليس.

(٨)

دخلت يارا مكتب حاتم، فسمعته يتحدث بمرح في التليفون:

- كل سنة وأنت طيب يا حبيبي، اللعبة ستعجبك وتلعب بها أنت ودادة طمطم وماما، باي حبيبي وائل، باي.

تملكتها الدهشة فسألته باستغراب:

- من وائل هذا الذي تتحدث إليه؟

- إنه صديقي وائل، ابن حضرتك.

- وكيف عرفت أن عيد ميلاده اليوم؟

- أنسيت أن التقارير الطبية بها تاريخ ميلاده؟

- نعم..

تناول علبة كبيرة مغلفة بالورق المفضض وقدمها لها قائلًا:

- من فضلك، هذه هديتي لصديقي وائل، أريده أن يلعب بها اليوم وهو يحتفل بعيد ميلاده.

ارتمت يارا على أقرب مقعد وأجهشت بالبكاء، قام حاتم وهو يشعربالحرج وجلس قبالتها قائلًا:

- يارا هانم، أختي العزيزة.. تخلصي من هذه العادة الشرقية ولا تقلبي لحظات السعادة إلى حزن، اضبطي مزاجك الشخصي ولا تجعلي العواطف الجياشة تدفعك للحزن وقت الفرح والبهجة، هذه عادة قديمة ورثناها عن أمهاتنا ويجب أن نتخلص منها، يارا.. أتسمعينني؟

- نعم أستاذ حاتم.

- أحسبك أقوى من ذلك.

- ابني يكبر ويفهم وكنت أتمنى أن يجد والده معه في مثل هذا اليوم.

- بسيطة، اتصلي بوالده واطلبي منه أن يحتفل معك بعيد ميلاد وائل.

- أنا؟ لا، لن أذل نفسي لرجل أهانني وتنكَّر لي ولابنه، لا، لا.

- هل تسمحين لي بالاتصال به نيابة عنك؟

- لا، سيطغى ويظن أنني أتمسح به، وقد يحرجك.

- إذًا، انظري لنصف الكوب الممتلئ وتجاهلي نصفه الفارغ.

- بمعنى..

- أقصد بالنصف الممتلئ، أن الله رؤوف رحيم، وقد هيأ الله رجلًا مثلي، يحب وائل ويتذكر عيد ميلاده، من يدري، فربما يعوضه ذلك عن غياب والده.

- يقول رسولنا الكريم ﷺ: **"كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته."** وهذا لم يكلف نفسه مجرد السؤال عن ابنه، ناهيك عن رعايته أو الإنفاق على علاجه، كأن وائل وصمة عار فيتخلص منه.

- يارا، كوني واقعية فنحن بشر ولنا أخطاء ونوازع وبنا شطط، فينا الشجاع الذي يتحمل المسئولية، وفينا من يجبن ويهرب، ورغم ذلك تستمر الحياة لأن أقدارنا بيد الله عز وجل.

- ونعم بالله.

- أبشرك بأن الزمن سيمضي، وسيُشفى وائل ويكبر ويصبح رجلًا عظيمًا، حينئذ سوف تتذكرين هذه الأيام، فتضحكين من لحظات ضعفك لأنها تتعارض مع إيمانك بأن إرادة الله هي المهيمنة.

- أشكرك أستاذ حاتم، لقد أراحني كلامك وخفف عني معاناتي.

- لديَّ فكرة أرجو أن توافقيني عليها.

- وهي؟

- هديتي لوائل هذه اتركيها لي، فسوف أقدمها بنفسي لصديقي وائل.

- هل؟ هل ستزورنا في البيت؟

- لا، صحيح أن معك طمطم، ولكن اجتماعيًّا لا يليق.

- بِمَ تفكر؟

- أحد أقاربي يعمل مديرًا للحسابات بفندق كبير، سأطلب منه أن يحجز لنا مائدة بقاعة الطعام لنتغدى معًا ونحتفل بعيد ميلاد وائل.

- هذا كثير أستاذ حاتم.

- لو أنك تعتبرينني أخًا لك ما قلتِ ذلك!

- بالعكس، أعتبر نفسي محظوظة لأني التقيتك في هذه الفترة من حياتي.

- دعيني أبُح لك بأن القدر لو جمعني بك قبل لقائي بالدكتورة نجوى لفعلت المستحيل لأتزوجك.

- ياه، إنك ترفع معنوياتي أستاذ حاتم، أشكرك وبارك الله لك في زوجتك، فهي سيدة متميزة وأنت فعلًا تستحقها.

- نجوى بالنسبة لي هي نصفي الجريء، المتحرر من عقد الشرق وأفكاره وقيوده لذلك أعجبت بها وأحببتها لأنها تكمل نقصًا بداخلي، أما أنت فعواطفك تسبقك ونقاء مشاعرك يجذبني إليك، حتى أنني تمنيتُ أن تكون ابنتي "زوزو" مثلك.

- لا، هذا كثير عليَّ جدًّا، أن زوجي لم يبح لي يومًا بهذا الغزل الجميل.

- صنفيه كما يحلو لك، لكني عبرت بصدق عن مشاعري نحو أخت أتمنى لها كل السعادة.

- أشكرك وحتى لا يأخذنا الوقت، أتيت لأعرض عليك..

- لحظة من فضلك، قبل أن أنسى، دعيني أحجز مائدة لنتناول الغداء معًا ونحتفل بعيد ميلاد أطيب وائل في الدنيا.

دون قصد منه، أيقظ حاتم بركانًا نائمًا في أعماق يارا، بركانًا من المشاعر المكبوتة والعواطف المؤجلة، فاندلعت ثورة في داخلها، ثورة على الواقع المرير الذي عاشته بعد زواجها، وخضوعها لتحكمات عاصم في كل أمور حياتها، وكيف تحول من ابن العم الدمث الطيب الخلوق، إلى مجرد زوج شرقي يأمر وينهى وعليها السمع والطاعة، صدمتها أفكاره قبل تصرفاته وخاب أملها، فيمن أحبته وأرادته ظِلًّا واقيًا من غدر الزمن وتقلباته، وهي التي فقدت والدها وبعده بشهور توفيت والدتها، ولم يبقَ لها إلا أخت تعيش منذ سنوات في كندا مع زوجها، وأخ وحيد متزوج من أخت عاصم، وينحاز له دومًا ويجامله، إرضاء لزوجته، ولن تنسى موقفه المخزي عندما طلقها عاصم فمارس عليها ضغوطًا رهيبة ومنعها من مقاضاة عاصم ومطالبته بحقوقها وحقوق طفلها، مُدعيًا أن بنات الأصول لا يلجأن للمحاكم حتى لا يفضحن العائلة ويجعلن سيرتها مضغة في أفواه الناس، اضطرت

للرضوخ وشعرت بالقهر فأغلقت حياتها على طفلها المعوق ونسيت أو تناست أنها امرأة، كتمت مشاعرها وحبست عواطفها في قمقم ألقته في جب النسيان، وتمثلت بالراهبات، ومَرَّ الوقت فاندملت جراحها وحصرت كل تفكيرها في رعاية طفلها، حتى جاء حاتم فنكأ جراحها ووصف لها العلاج، وها هو لا ينتظر حتى تُشفى أو تتعافى بالاطمئنان على طفلها، بل اقتحم حياتها وأيقظ بركانًا، لطالما ظنت فوهته مغطاة بجبل، فإذا بحاتم يزيل الجبل ويفجر بركانها بثقة واقتدار.

كانت قد تأثرت بكلام زوجته وقررت أن تودع الأحزان، وتتلمس منابع البهجة في حياتها، وها هو حاتم يُطيح بالبقية الباقية من أحزانها ويدفعها دفعًا للغوص في بحر السعادة، قبل أن تتعلم فن العوم أو تحمل عدة الغوص.

اختارت من خزانة ملابسها: بلوزة بيضاء بها نقوش سيريالية زاهية وتايير سماويًّا فاتحًا، وإيشاربًا كحليًّا وحذاء أزرق، وحقيبة زرقاء، كانت قد طلبت من طمطم ألا تتعب نفسها وتعد الغداء، بل تستعد للخروج، وبعد أن أكملوا ارتداء ملابسهم، اكتفوا بتناول بضع ثمرات من الموز، ثم خرجوا ليفرحوا ويسعدوا ويبتهجوا.

وصلوا الفندق في الوقت المناسب، ركنت السيارة في الجراج أسفل الفندق، استقلوا المصعد إلى الطابق الثالث، حيث توجد قاعة الطعام، وحينما فتح باب المصعد، خرجوا لتقابلهم مفاجأة مذهلة، فصور ابنها وائل معلقة على الجدران ومحاطة بفروع الزينة من الورود والورق

الملون، مع عبارات التهاني بعيد ميلاده وأسهم تشير إلى قاعة الطعام، وعند الباب كان رئيس الطهاة يستقبلهم، وبإشارة من يده بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف، وامتلأت القاعة بشلالات من شعاع الليزر، يرسم طيورًا ونجمات وباقات زهور ملونة في كل الأركان، كان حاتم ينتظرهم على المائدة، فنهض لاستقبالهم، صافحها هي وطمطم ثم انحنى فقبل وائل ودفع مقعده المتحرك، ليجعله بجانبه على المائدة، كانت يارا مبهورة، تتنفس ببطء وتبلع ريقها بصعوبة من هول المفاجأة، جاهدت نفسها حتى لا تبكي، تركت طمطم تجلس بجانب وائل من الجهة الأخرى، واختارت أن تكون هي في مواجهة حاتم، الذي داعب وائل ومال نحوه يقبله بمودة وحنو قائلًا:

- عيد ميلاد سعيدًا يا حبيبي، عقبال مائة سنة وكل سنة وأنت منور الدنيا كلها.

وعلى غير المتوقع فوجئ الكل بوائل يرفع وجهه نحو حاتم ويجتهد في أن يضم شفتيه على شكل منقار البطة، فمال حاتم نحوه وقبله في فمه ثم احتضنه قائلًا:

- حبيبي، حبيبي، فعلًا المشاعر تصل، أنت رائع يا وائل.

وهنا لم تتمالك يارا نفسها وأجهشت بالبكاء، تعمد حاتم أن يطيل احتضانه لوائل حتى لا يرى أمه تبكي، وجَزَّ على أسنانه موجهًا كلامه لها:

- أهذا وقته؟ تمالكي أعصابك ولا تفسدي فرحة الولد.

جففت عينيها، وحاولت أن تبتسم، أخرج حاتم الهدية من تحت المائدة، قدمها لوائل قائلًا:

- هذه هديتك، ستفتحها وتلعب بها إذا أكلت جيدًا.. اتفقنا؟

- نـ نـ نعم.

- إذن ضعها بجانبك هكذا.

وبإشارة من يده، بدأ الطهاة في رص الأطباق على المائدة، والفرقة الموسيقية تعزف لحن عيد الميلاد وموسيقى أشهر أغاني الأطفال، وظللتهم السعادة وهم يتناولون الطعام، أصر حاتم أن يتولى إطعام وائل بنفسه وقال لطمطم:

- من فضلك، دعيني أطعم صديقي وائل بنفسي.

وكان الطفل أكثر تجاوبًا معه، فهمست طمطم ليارا:

- انظري كيف ينحاز الرجال لبعضهم البعض؟!

- وائل يحبه.

قالتها وهي تفكر بقلق وحيرة:

- ترى أيكون هذا الحب المتبادل بينهما مقدمة لحب أكبر يربطني بحاتم؟ أيحاول حاتم أن يفتح بابًا إلى قلبي من خلال وائل؟ وماذا عن زوجته التي صرح بحبه لها؟ أينوي الجمع بيننا، فأصبح أنا زوجته هنا

وتبقى هي هناك؟ الشرع يعطيه هذا الحق ولكني لـو قبلـت الـزواج بـه أكون قد طعنت زوجته وهي لا تستحق منى ذلـك.. لا، لا .. مـا هـذا الهبل الذي سيطر على تفكيري؟! إنـه يحـب زوجتـه ويخلـص لهـا، ومـا يفعله معنا مجرد تعاطف إنساني، فقد طلب مني أن أعتبره أخًا، ولم يـبح لي بأي عاطفة، فكيـف أسـمح لنفـسي ببنـاء قـصور في الرمـال كلعـب الأطفال؟!

انتبهت على صوت حاتم يسألها:

- يارا هانم.. ألا يعجبك الطعام؟

- الطعام أكثر من رائع، ويكفي أنك معنا.

- لاحظت أنك لا تأكلين بشهية مفتوحة.

- جمال الطعام ونكهته الرائعـة سـتغريني بكـسر النظـام الغـذائي الذي أتبعه.

- في الأعياد والمناسبات السعيدة اسمحي لنفـسك بـالتحرر مـن قيود نظامك الغذائي ولو ليوم واحد لتسعدي نفسك وتشاركي الأحبة فرحتهم.

- والله معك الحق ولن أحرم نفـسي مـن هـذه الأصـناف الـشهية المغرية.

- كلي بألف صحة وعافية.

ولما فرغوا من الطعام، انتقلوا إلى ركن المشروبات، فتناولوا الشاي، وساعد وائل في شرب العصير الذي يحبه، ثم عزفت الفرقة الموسيقية من جديد، فقاموا الى مائدة الطعام مرة أخرى، حيث فرغ العمال من رفع الأطباق، وأقبلوا حاملين "تورتة عيد الميلاد" المزينة بصورة وائل، وضعوها أمام وائل على المائدة، وغرسوا بها خمس شمعات، ومع موسيقى عيد الميلاد، انضم إليهم بعض نزلاء الفندق وغنى الجميع أغنية عيد الميلاد بلغات متعددة ختمتها طمطم بأن غنتها باللغة الفلبينية، ثم أُطفئت الأنوار وطلبوا من وائل أن ينفخ في الشموع ليطفئها، ولما أُضيئت أنوار القاعة، ساعده حاتم في إمساك السكين، وتقطيع تورتة عيد الميلاد وسط فرحة الجميع وتصفيقهم وغنائهم، قام أحد الطهاة بوضع قطع التورتة في أطباق، وتوزيعها عليهم.

كان وائل مبهورًا بما يحدث، وحاول مرارًا أن يترنم بالغناء، فكانوا يشجعونه ويصفقون له، قضوا وقتًا سعيدًا ثم رافقهم حاتم إلى السيارة، ودَّعهم وخصَّ وائل بقبلة على خديه، شكرته يارا وقادت سيارتها، متجهة إلى البيت وهي تشعر أن أبواب قلبها مفتوحة على مصراعيها لفيض من رسائل الحب، يبعثها حاتم سواء بقصد أو لمجرد التعاطف، وقبل أن تدخل غرفتها، التفتت إلى طمطم:

- ما رأيك فيما جرى الليلة؟

- أستاذ حاتم يحبك.

- أنا؟

- وأيضًا يحب طفلك ويعامله كأب حنون.

- لاحظتُ ذلك؟

- رجل محترم.

ابتسمت يارا وتوجهت إلى غرفتها بخطى حالمة ولسان حالها يقول:

- آه لو تعلمين عطشي لحب رجل متحضر ومخلص كحاتم.. آاااه!

خلعت ملابسها، تأملت جسمها الممشوق أمام المرآة، أعجبت بصدرها الشامخ، وانحناءات جسمها الصارخة بأنوثة طاغية، تلمست نهديها وأغمضت عينيها، تخيلت نفسها بين ذراعي حاتم، أحسته يحتضنها ويقبلها ويهمس في أذنها بأروع كلمات الحب، شعرت لحظة بدفء جسمه ونبض قلبه وأريج أنفاسه الحارة، استفاقت من حلم اليقظة فانسحبت الأنثى المحبوسة في أعماقها، ارتدت ملابس البيت وخرجت فرأت وائل يضحك فرحًا بصور الحفل، الذي تعرضه طمطم على شاشة هاتفها، سألتها بفرح:

- أنجحت في تصوير عيد ميلاد "وأوولي"؟

- انظري.

- صورتيه فيديو، رائع يا طمطم.

- يمكنك أن تحتفظي به على اللاب توب.

- سأفعل.

أحضرت اللاب توب وبدأت بتخزين حفل عيد الميلاد، تنبهت على اتصال من الدكتورة نجوى، سارعت بفتح الكاميرا ورحبت بها:

- أهلًا دكتورة نجوى، كيف حالك؟

- الحمد لله، بلغني وائل تهنئتي بعيد ميلاده، وعقبال مائة سنة.

- شكرا، شاكرة جدًّا لذوقك دكتورة نجوى.

- أبشرك، فقد انتهينا من تقييم حالة وائل وأستطيع أن أطمئنك بأن شفاءه سيكون ميسرًا بإذن الله.

- بشَّرك الله بكل خير حبيبتي.

- مشكلة ابنك هي ارتخاء أوتار أطرافه الأربعة، وعلاج ذلك يستلزم إجراء عدة عمليات لشد هذه الأوتار وهذه العمليات دقيقة جدًّا وتتم بخطوات متدرجة، لذلك فهي مكلفة وتحتاج إلى علاج بالخلايا الجذعية وأيضًا علاج طبيعي لتقوية العضلات أو بمعنى أصح لإعادة بنائها وهذا كله يتطلب إقامة كاملة بالمركز الطبي التابع لمستشفى ميامي لستة شهور على الأقل.

- وكم ستكون التكلفة؟

- تم اعتماد حالة وائل بالقسم التعليمي باعتبارها حالة مفيدة للبحث والدراسة وهذا يعفيك من نصف التكلفة لتصبح نصف مليون دولار فقط.

- كم، نصف مليون دولار؟!

- أهذا يفوق إمكاناتك؟

- جدًّا.

- قد يكون علاج الأوتار مكلفًا جدًّا ولكنه سيمنح طفلك البهجة التي حرمته الإعاقة إياها.

- صدقت، هي فعلًا أوتار البهجة لي وله.

- ابدئي في تدبير المبلغ ومن جهتي سأحاول الضغط على بعض الأطباء لتخفيض أجورهم.

- لن أنسى جميلك ما حييت، وسأحاول تدبير المبلغ المطلوب، حتى لو بعت شقتي وانتقلت لشقة أرخص منها.

- أليس لديكم تأمين صحي؟

- لا يغطى عمليات باهظة التكلفة هكذا.

- لو كنت هنا لاستفدت من التأمين الصحي من جهة ومن جهة أخرى القانون هنا يجبر والده على تحمل المسئولية حتى وأنت مطلقة.

- للأسف أوضاعنا تنقصها ضوابط كثيرة.

- سأبذل أقصى جهدي لتخفيض التكلفة مرة أخرى وسأداوم على الاتصال بك.

دارت الدنيا بها وتملكها صداع شديد برأسـها، أحـضرت إيـشاربًا ربطت به دماغها، ابتلعت دواء مـسكنًا، جلـست تفكـر وهـي تـضغط بكفيها على رأسها، والأفكار تتقاذفهـا كريـشة في مهـب الـريح، أخـيرًا تقبلت فكرة أن يشاركها طليقها في تكلفة علاج ابنه، حينئذ فقط رفعت سماعة التليفون وطلبت أخاها عادل.

(٩)

في نهاية يوم عمل طويل، جلس عاصم أبو النور، يتصفح تقارير متابعة برامج قناته الفضائية "نزهة"، ويراجع الإعلانات التي أُذيعت خلال البث اليومي للقناة، اتصلت زوجته فأبلغها أنه مشغول، ووعدها ألا يتأخر على العشاء، وضع الهاتف جانبًا، توقف كثيرًا أمام تقرير المحاسب القانوني، الذي ينتهي بتحذير من سوء الموقف المالي للقناة، لزيادة المصروفات عن الإيرادات الآتية إليها، انتابه إحساس متزايد بالقلق والتوتر العصبي، في تلك اللحظة فُتح الباب ودخل شوكت العنتيل مبتسمًا وألقى التحية باندفاع حميمي زائد:

- أسعد الله مساءك عاصم بك.

- ماذا فعلت يا هباب، يا طين البرك أنت؟!

انفجر عاصم غاضبًا واستقبله مستهزئًا وقاصدًا إهانته، إلا أن شوكت امتصَّ غضبه وقال ببرود وهو يهرش قفاه:

- اهدأ وقل ماذا بك؟

- هل سأعثر كل يوم على مهندس ديكور مثل كريم الصاوي الذي أغضبته بحماقتك؟

- أنا أصلًا لم ألتقِه اليوم ولم أتحدث إليه.

- لماذا صرفت منفذي الديكور وعطلت عمله؟

- لم أصرفهم، كانوا جالسين بلا عمل فأخذتهم معي في مهمة خاصة.

- دعك من طريقة "شارلوك هولمز" هذه ولا تتصرف من دماغك.

- تفرج على هذه الصور أولًا..

قدم لعاصم ظرفًا به مجموعة من الصور، أخرجها وتأملها في صمت، هز رأسه وسأله باهتمام:

- أهذا من أسميته بالعاشق الولهان؟

- أمامك الصور تنطق بكل شيء.

- أتذكره، حاتم عز الدين.. كان زميلي في المرحلة الثانوية.

- هو الآن غريمك ورئيس يارا في البنك.

- غريمي؟ أتقصد أن تضايقني وتزيد توتري؟

- إن كان الخبر اليوم بالفلوس فغدًا سيتاح بالمجان وعلى الملأ!

- هل سيتزوجها؟

- أكيد، فبينهما قصة حب وها هو يتسلل إلى قلب وائل هو الآخر.

- مسكين وائل، إنه عيد ميلاده.

- وحاتم يقوم بدور الأب البديل لإقناع يارا بالزواج.

- كيف التقطت هذه الصور؟

- مدير الفندق صديقي، كنت أناقش معه التعديلات المطلوبة في الإعلان الذي نذيعه عن الفندق، وفي أثناء خروجي من مكتبه، رأيت العمال يعلقون الزينة وعبارات تهنئة بعيد ميلاد وائل وعرفت أن حفل عيد ميلاده سيُقام بالفندق، فاستعنت بمنفذي الديكور ونشرتهم في المكان لالتقاط الصور.

- فعلا أنت إبليس.

- اطلبني تجدني.

- أنت شرير ومُخرِّب، ضميرك ميت!

- أهذا جزائي؟

- يا غبي، كيف تعطل بناء الديكور الجديد وتكلف العمال بالتقاط صور لا طائل من ورائها، وماذا قلت لهم عن وائل؟ طبعًا أخبرتهم أنه ابني!

- أصلًا لم يأت ذكرك في الموضوع وظنوا أن الصور ستستخدم في إعلان الفندق.

- أنت كالدبة التي قتلت صاحبها.

- لا تستهزئ بما قمت به، فهذه الصور ستقلب الموازين وتحول طليقتك إلى دجاجة تبيض لك ذهبًا.

- اسكت، القناة تخسر وأنا واقع في مأزق.

- ولن يخرجك منه إلا استخدام كارت يارا، حان وقت اللعب بالبنت وبعدها ستلعب بكارت الولد، أقصد ابنك وائل.

- أنت شرير أحمق.

- إبليس.. قلها..

- يا بني آدم، هذا ليس وقت اللعب والمغامرة!

- يفوز باللذات كل مغامر، فلا تقلق.

- الله يخرب بيتك، هيا اغرب عن وجهي، اخرج.

- سأخرج لأنك منفعل ولكن تذكر مقولتي الخالدة: اطلبني تجدني!

- غبي!

حاول عاصم أن يستعيد هدوءه، استند بمرفقيه على المكتب، ممسكًا رأسه بكفيه وفكر لحظات، أخرج الصور، تأملها ثانية، رن جرس الهاتف، قرأ اسم عادل ابن عمه، زوج أخته بثينة وشقيق طليقته يارا، توجَّس أن يكون اتصاله بسبب الصور التي التقطها شوكت فردد في سره:

- الله يخرب بيتك يا شوكت.

تناول الهاتف وضغط الزر قائلًا:

- أهلًا عادل.

- فكرت كثيرًا قبل أن أتصل بك يا عاصم ولكن الموضوع ملح وعاجل ولا يتحمل التأخير.

- أعرف، أعرف.

- إذًا قل لي: كم ستدفع؟

- أدفع ماذا ولمن؟

- ألم تقل إنك تعرف؟

- لا، ربما أقصد شيئا آخر.. قل ما لديك؟

- تدري أن أختي يارا تقاطعني وتعتبرني متحيزًا لك ضدها.

- لا بأس، اعذرها.

- حدثتني منذ قليل ورجتني وهي تبكي وتتوسل لكي أتوسط بينكما.

- ماذا تريد؟

- عرضت ابنها وائل على مستشفى ميامي بأمريكا وأقنعوها بعلاج وائل هناك والتكلفة نصف مليون دولار، تريدك أن تساهم معها بنصف المبلغ.

- أولًا أنا أمر بأزمة مالية، ثانيًا من قال إن طفلًا لا يتكلم ولا يتحرك، يمكن علاجه في الخامسة من عمره ويصبح سويًّا، هذا هراء وابتزاز أمريكي!

- عاصم، تعرف أنني منعت يارا من اللجوء للمحكمة من قبل، لكن هذه المرة لن أقدر، فهيا نتعاون لمنع الفضائح العائلية.

- قلتُ لك أمر بأزمة مالية وأنا الذي أبحث عمن يتعاون معي.

- لا تنس أن وائل ابنك وأنت مسئول عنه مثلها تمامًا.

- أختك واهمة وابنها ليس له علاج، الأمريكان كاذبون يبيعون لها الوهم.

- لا تقل ذلك بلا علم فلا أنت ولا أنا نفهم فيما يراه الأطباء.

- عادل.. قل لأختك: لعبتك مكشوفة فابحثي عن غيرها.

- أتظنها تبتزك وتخدعك؟

- بأمارة قصة الحب التي تعيشها مع رئيسها العاشق الولهان حاتم عز الدين.

- قصة حب؟

- ومعي الدليل.

- أي دليل.

- صورها مع العاشق الولهان.

- لو ثبت ذلك سأقتلها.

- تعالَ وخذ الصور لتواجهها بها.

- دقائق وأكون عندك.

وضع الهاتف جانبًا، أخرج الصور، تأملها مرة أخرى، خطر بباله الاستعانة بالشرير شوكت العنتيل، لتغيير الصور بالفوتوشوب، فيجعل يارا وحاتم وحدهما في أوضاع رومانسية بغرفة النوم، فكر في إرجاء عرضها على عادل حتى يغير أوضاعها ويجعلها مثيرة، لكنه تراجع خوفًا مما قد يترتب عليه ذلك من إقدام عادل على قتل أخته، وبعدها سيضطر هو لتحمل عبء أخته بثينة وأطفالها، تراجع وأعاد الصور إلى الظرف، شغل نفسه باستكمال قراءة تقارير متابعة البرامج، إلى أن طرق عادل الباب ودخل متحفزًا يسأله بدم حار:

- أرني الصور.

- ها هي.

تأمل الصور بلهفة ثم هز رأسه أسفًا ورماها في وجه عاصم قائلًا بغيظ:

- حرام عليك، أهذه صور عشق وغرام؟

- ألا تجالس رجلًا محرمًا عليها؟

- اتقِ الله، الصورة في مكان عام وهي تحتفل بعيد ميلاد ابنها.

- وما صفة هذا الرجل ليحتفل معها بعيد ميلاد ابني؟

- وهل لو دعتك للحضور أكنت تذهب؟

- منذ متى وهي تحتفل بعيد ميلاده، لماذا بعد مجيء حاتم عز الدين؟

- ما لا تعرفه أن السيد حاتم رجل نبيل يتحلى بأخلاق الفرسان وهو متزوج من طبيبة أمريكية متخصصة فيما يصيب ابنك من شلل رباعي، الرجل تعاطف مع معاناة وائل فكلف زوجته بالبحث عن أفضل السبل لعلاجه، وها هو يشارك في رفع معنويات ابنك ويستحق الشكر وليس التشهير به وبأختي.

- طبعًا ومن يشهد للعروس أفضل من أخيها؟!

- عاصم، لا تنرفزني، بسببك خسرت أختي وقاطعتني لسنوات.

- لا تنس يا ابن عمي العزيز، أن يارا هي المسئولة عن ولادة ابني معوقًا ولو رضيت بولادة قيصرية لأتى طفلي سليمًا.

- حتى لو سلمنا بذلك وهو غير مؤكد، فمن العدل ألا تتركها وحدها الآن، وائل ابنك ويحمل اسمك مثلما هو ابنها.

- تتحمل وحدها عاقبة أنانيتها وخوفها على نفسها.

- ابنك يكبر يا عاصم وربما تكون هذه فرصة حقيقية لشفائه.

- أتمنى له الشفاء، لكن ظروفي لا تسمح بتحمل أي نفقات.

- أهذا آخر كلام عندك؟

- نعم ولا أريدها أن تتصل بي.

- أختي لديها كبرياء وتعرف ذلك ولكن لو ضاقت بها السبل، فقد تلجأ للمحكمة.

- أهذا تهديد؟

- افهمه كما تريد.

خرج عادل غاضبًا وصفق الباب خلفه، انزعج عاصم فضرب سطح المكتب بكفيه صائحًا:

- لا تهمني المحاكم وأعلى ما في خيلها تركبه.

أطرق برهة، يفكر بحنق شديد، تناول الهاتف وطلب صديقه الشرير:

- شوكت.

- اطلبني تجدني.

- أين أنت؟

- في غرفة المونتاج.

- أريدك في مكتبي.

- حالًا يا برنس.

بعد لحظات دخل شوكت فاردا ذراعيه بحركة استعراضية:

- شبيك لبيك عاصم بك.

- شوكت، كيف أمنع زواج يارا من حاتم عز الدين؟

- تزوجها أنت، أعدها لعصمتك.

- لا.. سأدخل في مشكلات مع مديحة.

- إذًا، نكسر هيبة حاتم ونشوه صورته أمام يارا.

- كيف؟

- نفتعل مشاجرة ونهينه أمام عينيها.

- لا، العنف لا يولد إلا العنف.

- أعطني فرصة وسأدبر خطة شيطانية لإفساد علاقته بالسيدة يارا.

- أريدك أن تزيحه من طريقها دون أن تترك أثرًا يدل عليك.

- عُلم وسيتم التنفيذ، اطلبني تجدني..

وخرج منتشيًا بمهمة شيطانية كلفه بها عاصم دون أن يدري كيف ستبدأ ولا كيف تنتهي.

(١٠)

رغم شدة معاناتها، وحاجتها الماسة لعلاج طفلها، فإن السيدة يارا كانت تدرك أنانية طليقها عاصم وغلظة مشاعره، وتوقعت ألا يتحمس للمشاركة في علاج ابنهما وائل، استمعت لأخيها بكل هدوء ثم قالت بنبرة أسى:

- كنت عارفة.

- يارا، صدقيني.. لقد بذلتُ كل ما أستطيع وهذا المبلغ مساهمة مني في علاج وائل.

- يكفيني يا عادل أن تدرك بعد كل هذه السنين أن أختك كانت على حق.

- أنا معك بقلبي وعقلي وكل ما أملك، حتى نطمئن على وائل وينعم الله عليه بالشفاء.

- أملى في الله وحده.

- والله لن يخذلك.. تفضلي.

- لا يا عادل، احتفظ بفلوسك وإذا احتجتُها سأطلبها منك.

- لا تردي يدي فالعبء ثقيل ولا تحمليه وحدك.

- اطمئن، ثمن الشقة سيغطي تكاليف العملية وما يستتبعها من علاج.

- هل بعت هذه الشقة التي اشتريتها بنصيبك من ميراث أبي؟

- لا شيء أغلى عندي من صحة ابني.

- معك حق، وأين ستقيمين؟

- سوف أستأجر شقة مناسبة.

- عيبك أنك معتدة بنفسك أكثر من اللازم.

- هكذا تربينا، أم أنك نسيت؟

- لا يا غالية، لم أنسَ.

في تلك اللحظة، استيقظ وائل وصاح مناديًا:

- أمواااه.... مااامواه.

- وائل يا طمطم.

- أنا معه سيدتي، لا تقلقي.

- أكان نائمًا؟

- نعم.

- يارا، هل تسمحين لي برؤيته؟

- طبعًا، أنت خاله والخال والد.. طمطم، أحضري وائل.

- أمرك سيدتي.

أقبلت تدفع المقعد المتحرك، وفوقه وائل بوجهه المشرق كالبدر، يرنو بعينيه نحو أمه ويبتسم لها ببراءة الأطفال وخجلهم، تأمله عادل بدهشة وقال متعجبًا:

- سبحان الله، ابنك نسخة مصغرة من أبي!

- صدق رسول الله ﷺ فقد قال: **"تكاد المرأة أن تلد أباها"**.

- كم أنا حزين على السنين التي لم أركَ فيها يا وائل!

قالها بنبرة ندم وانحنى عليه يقبله، نظر إليه وائل وابتسم، سألته يارا:

- وائل.. مَن هذا؟

- د..د..دكتـــ..دكتوور.

- معذور، فهو لا يرى غير الأطباء.

- حبيبي، هذا خالك عادل.

- عاااديل.

- اسمه عادل، قل: عادل.

- عاادل.

- برافو، أحسنت حبيبي، شفاك الله وعفاك.

جلس عادل على ركبتيه، يداعب وائل ويلاطفه بحب، أقبلت طمطم حاملة صينية القهوة، تناول عادل فنجانه وجلس يشربه بجانب يارا، ثم نظر إليها وقال:

- أنا فخور بصمودك وإصرارك وشخصيتك القوية.

- الله يمنحني الصبر.

وضع الفنجان، نظر في ساعته، نهض مصافحًا فاحتضنته وقبلته قائلة:

- كرر الزيارة.

- لن أتأخر عليك.

انحنى يقبل وائل ثم خرج مُلوِّحًا له بيده، أغلقت الباب واتجهت إلى اللاب توب، فتحته وتصفحت مواقع بيع العقارات، تذكرت شيئًا، دخلت غرفة نومها، أحضرت عقد الشقة، راجعت مساحتها وأوصافها المدونة بالعقد، كتبت إعلانًا على أحد المواقع لبيع شقتها، قامت

وساعدت طمطم في إعداد العشاء، وأكلت معها وهما تتابعان أحد البرامج الفكاهية وتتضحكان كطفلتين في عمر البراءة، بعد قليل انهالت عليها أسئلة الراغبين في الشراء، يستفسرون عن الموقع والسعر وطريقة السداد، وكانت ترد عليهم بسعة صدر واستبشرت خيرًا بأن الإعلان سينجح في بيع الشقة بثمن مرتفع.

كان حاتم ممن اطلعوا على الإعلان مصادفة، وهو يطوف بمواقع بيع العقارات لعله يجد شقة بالمواصفات التي تعجب زوجته، أدرك حاتم من العنوان المذكور ورقم الهاتف، أن الشقة المعلن عنها هي شقة يارا، علم أنها اتخذت القرار الصعب، لكي تدبر تكاليف علاج طفلها، تمنى لو أنه يقدر على مساعدتها، ليجنبها بيع الشقة، تملكته الحيرة، هم بالاتصال بها ثم تراجع، برقت في ذهنه فكرة، قلبها في عقله على كل الأوجه، أخيرًا تناول الهاتف واتصل بأعضاء مجلس إدارة البنك، واحدًا تلو الآخر، نجح في إقناعهم بمساعدة السيدة يارا، ليس بمنحها قرضًا طويل الأجل كما كان يتعشم، لكنهم ذهبوا إلى ما هو أفضل، فوافقوا جميعًا على أن يسدد البنك تكاليف علاج طفلها من بند الصدقات والأعمال الخيرية، التي يقتطعها البنك من أرباحه كل عام، كاد حاتم أن يطير من الفرحة، اتصل بيارا ليبلغها الخبر ويمنعها من بيع شقتها، لكن هاتفها ظلَّ مشغولًا مدة طويلة، توقع أنها تتفاوض مع المشترين، فكر في الذهاب إليها، لكنه تحرج من دخول بيت سيدة عزباء ليلًا، دفعته الفرحة أن يتصل بزوجته، ليخبرها ويرجوها أن تسرع باتخاذ إجراءات سفر يارا وطفلها، طلبت زوجته أن يمدها بصور وثائق السفر الخاصة

بيارا وابنها، فوعدها أن يوافيها بها صباح الغد، وظل يتحدث إلى ابنته إلى وقت متأخر، ثم توجه للنوم وهو مرتاح البال، سعيدًا بما أنجزه.

في الصباح، اطمأنَّت يارا على طفلها، أوصت الممرضة أن تهتم به وتحرص على إطعامه وإعطائه الدواء في المواعيد المقررة، تناولت حقيبتها وخطت نحو الباب، تذكرت شيئًا، التفتت نحو طمطم وقالت بحزم:

- إذا اتصل أحد المشترين وطلب معاينة الشقة، أدخليه ليراها، فإن أعجبته اطلبيني، لأحدد معه موعد كتابة العقد.

انشغلت بعملها في البنك ومضى الوقت دون أن تتصل بها طمطم، شعرت بالقلق، دعت الله أن يوفقها في بيع الشقة، وبينما هي تفكر وتنتظر أن يرن جرس الهاتف، انطلق رنين جرس تليفون مكتبها، رفعت السماعة ومن شدة لهفتها قالت:

- طمطم، أسمعك.

- أنا حاتم يا أستاذة يارا.

- عفوًا أستاذ حاتم، معذرة.

- تفضلي في مكتبي.

استقبلها مبتسمًا وقبل أن تجلس، سألها بمرح:

- كنت قوية صامدة كالأسد الجسور فماذا ألمَّ بك؟

- أبدًا، لا شيء.. أنا بخير.

- عرفت أنك تعرضين شقتك للبيع.

- هل قرأتَ الإعلان؟

- لستُ في حاجة لبيعها.

- وكيف أُدبِّر تكاليف علاج ابني؟

- البنك سيتحمل عنك كل التكلفة.

- لا.. معقولة؟!

- إكرامًا لك وافق مجلس إدارة البنك على تحمل نفقة علاج طفلك.

- أحقًّا ما تقول؟!

- وهل هذا أمر يحتمل الهزل؟

- أيعقل هذا، لا أصدق، هل أنا أحلم؟

- لا، إنها حقيقة وأمر واقع وأريد منك بيانات وثائق السفر الخاصة بك وابنك وأيضًا طمطم إن كانت سترافقك.

- أستاذ حاتم أنت إنسان رائع ومهما تقل فلن أوفيك حقك.

- لم أفعل غير الواجب.

- أنا مبهورة بما تفعله من أجلي، ومنذ رأيتك وأنت تبث في نفسي الأمل وتشيع من حولي السعادة والبهجة.

- العكس هو الصحيح، ولولا أنك سيدة رائعة تفيض بالطاقة الإيجابية، ما تحملت الروتين والأنانية ومظاهر التخلف التي واجهتها، ولولاك لعدتُ إلى عملي السابق بعد أسبوع على الأكثر.

- أنت كالساحر، مفاجآتك تجعلني أكاد أطير من الفرحة.

- افرحي وابتهجي، البهجة تليق بالحرائر، ولولاكن ما عمرت الأرض ولا عرفت البشرية طعم السعادة والبهجة.

- من كل قلبي أدعو الله أن يجزيك خيرًا عما تفعله معي.

- أشكرك وهيا استعدي للسفر.

عادت يارا إلى بيتها، وطوال الطريق لم يفارقها الإحساس بأنها تعيش حلمًا جميلًا، كانت في أوج انبهارها بشخصية حاتم، شعرت بدقات قلبها تنبض بحبه، تمنته كأنثى وأحست بأنها تذوب فيه عشقًا، حلمت بأنها امتلكته زوجًا وحبيبًا عاشقًا، يقاسمها الحياة، كانت تقود سيارتها بليونة ورومانسية كأنها تطير بها في بستان الأحلام، وأحيانًا تفيق على سارينة سيارة ملاصقة، أو نفير يطلقه سائق متعجل، يسير خلفها، وما إن وصلت، انطلقت إلى شقتها على أجنحة الفرحة، فتحت الباب ودخلت تنادي طمطم لتخبرها ألا حاجة لبيع الشقة، لكنها نادت ونادت ولا من مجيب، اختفت طمطم، جرت إلى غرفة وائل فلم تجده، ورأت طمطم مقيدة بالسرير، ومكممة فلا تقدر على الكلام، انقبض قلبها وصرخت بلوعة وذعر:

- أين وائل ومَن فعل بك هذا؟

سارعت بنزع الشريط اللاصق عن فم طمطم، وأعادت عليها السؤال، فأجابتها الفتاة بخوف وضعف:

- خطفوا وائل وقيَّدوني.

- مَن هم؟

- اتصلوا وطلبوا معاينة الشقة ليشتروها ولما فتحت الباب فوجئت برجلين ملثمين ولم يضيعا الوقت، فقاما بتقييدي حتى لا أقاومهم ثم خطفوا وائل وهربوا.

- ألم يقولا شيئًا؟

- لا.

- ما أوصافهما؟

- كانا ملثمين.

ضربت يارا على صدرها وصرخت بلوعة الحزن والخوف مرددة:

- ابني، ابني.. أين ذهبوا به ولماذا خطفوه؟ أيطلبون فدية؟

أشارت طمطم إلى السقف قائلة:

- سيدتي، الكاميرات.

- نعم، سأبلغ الشرطة أولًا.

بعد لحظات، وصل أخوها عادل، وبعده مباشرة جاء حاتم، ثم وصلت الشرطة، حاولوا طمأنتها، استحسن ضابط الشرطة وجود كاميرات بشقتها، قام بنزع بطاقة الذاكرة من الكاميرات، أدخلها في جهاز اللاب توب وشغلها واحدة بعد الأخرى، وهم يلتفون حوله، ويتأملون باستغراب شكل اللصين الملثمين، من لحظة دخولهما إلى خطفهما وائل، تاركين الممرضة تقاوم قيودها بلا جدوى، التفت الضابط إلى يارا وسألها:

- سيدتي، دققّي جيدًا في اللِّصين فربما تتعرفين إلى أحدهما.

- عقلي مشوش وكل تفكيري في ابني، إنه بحاجة لرعاية خاصة ولا بد أن يأخذ علاجه الآن.

وهنا أشار عادل إلى صورة أحد اللصين قائلًا بحماسة:

- عرفت هذا اللص، إنه شوكت العنتيل الذي يعمل مع ابن عمنا عاصم.

قام الضابط بتكبير الصورة والتركيز على وجه اللص، فأكدت يارا:

- نعم، هذا هو شوكت.

- هل بينك وبينه خلافات؟

- لا، عرفته من خلال طليقي عاصم.

- إذًا فقد أمسكنا بطرف الخيط.

(١١)

في جرأة يُحسد عليها، اقتحم شوكت العنتيل اجتماع المحررين والمذيعين برئيس القناة، ومال على أذن عاصم هامسًا:

- استأذن منهم واتبعني لترى أقوى مفاجأة.

ارتبك عاصم، رمق شوكت بارتياب وسأله بحدة وقرف:

- أفصح.

- اتبعني وسترى ما يسرك، الكارت الرابح في جيبك الآن.

انتابه القلق وأحس أن كلام شوكت يخفي وراءه كارثة، أغلق ملف الأوراق المفتوح أمامه وقال للحضور:

- أستأذنكم لحظات وأعود.

قام يمشي خلف شوكت الذي سار منفوخًا كالطاووس، ودلف إلى غرفة مكتبه، يتبعه عاصم الذي صُدم برؤية طفله وائل ممددًا على أريكة، والدموع تنساب على خديه، انفجر عاصم غاضبًا وهجم على شوكت قابضًا على تلابيب ملابسه، وهزَّه بعنف:

- ماذا فعلت يا حقير؟

- حقير؟! هذا ابنك وائل.

- كيف أخذته وأتيت به؟ هل سرقته؟

- اهدأ واسمعني.

- يا غبي إنه معوق ويحتاج لرعاية، لماذا أحضرته؟ أتريد أن تفضحني هنا؟

- وجوده معك سيجعل يارا تأتيك راكعة فتمنع زواجها من حاتم.

- هذه جريمة، ما ذنب هذا الطفل المسكين لكي تروعه وكيف خطفته؟

- تسللتُ إلى الشقة كواحد من المشترين.

- هل عرضت يارا شقتها للبيع؟

- وانتهزت الفرصة فدخلت بسهولة كمشترٍ ونفذتُ خطتي.

- وكيف تفعل ذلك دون إذني..كيف؟

- أردتُ أن أفاجئك.

- أخرج أيها الشرير، أخرج، سأبلغ الشرطة عنك حالًا.

- لا، لا تُعقِّد الأمور ودعني أُعيدُه بهدوء.

- لن أأتمنك عليه، اخرج، سئمتُ غباءك، هيا ولا تُرِني وجهك القبيح ثانية.

خرج شوكت يجرُّ أذيال الخيبة، اقترب عاصم من طفله الذي لم يره منذ كان رضيعًا، جلس يتأمله، شعر بالحنين إليه، تملكه شعور بالأسى والندم، مَدَّ يده يلمسه بعطف ويربت عليه بحنو وإشفاق ثم ناداه:

- وائل، حبيبي وائل، أتسمعني؟ ألا تعرفني؟ أنا بابا يا حبيبي.

رَمَقَه وائل بنظرة خوف، مال عاصم عليه وقبَّله في خديه، تأمله بأسى وقال لنفسه:

- يااااه! إنه يُشبه عمي المرحوم سعيد!

حاول أن يجلسه على الأريكة، أدرك أن أوتاره مرتخية ومفاصله سائبة، أجلسه في حجره، ربت عليه بحنو لكي يطمئنه، شم رائحته العطرة، داعب شعره الناعم الغزير، انتبه لحركة الباب، يفتح بقوة ويدخل ضابط شرطة، يتبعه جنديان وخلفهما ابن عمه عادل، الذي اتجه إليه لائمًا:

- أيصح أن تخطف الولد بهذه الطريقة؟

وقبل أن ينطق أو يدافع عن نفسه، انتزع منه الطفل وتقدم الضابط فقبض على يده، ولفها بسوار القيد الحديدي، حاول عاصم أن يتملص، لكن الضابط رفع إصبعه محذرًا وسأله بنبرة إدانة:

- أين شريكك في خطف وائل؟

- لم أخطفه وفوجئت مثلكم بمساعدي الأرعن يحضره إلى هنا ظنًّا منه أن يارا تمنعني من رؤيته.

- من حقك أن تقول ذلك في التحقيق، ولكني مضطر للقبض عليك، فجريمة الخطف أركانها اكتملت وأنت متورط شئت أم أبيت!

- سيدي الضابط، سأخرج معك كما تريد لكن لا تفضحني أمام الموظفين وانزع القيد الحديدي عن يدي.

- أين المجرم خاطف الطفل؟ طبعًا، لن تنكر أنك تعرفه.

- اسمه شوكت العنتيل، ستجدونه في بلاتوه الاستديو الجديد أو بالكافتيريا.

التفت الضابط إلى الجنديين وأمرهما:

- ابحثا عن مساعده شوكت العنتيل واقبضا عليه.

ثم جذب عاصم ودفعه للسير أمامه قائلًا بحزم:

- وأنت، تعالَ معي.

بعد لحظات قبض الجنديان على شوكت وشريكه في خطف وائل، وفي التحقيق اعترفا بأنهما فعلا ذلك دون علم أو تكليف من عاصم، فتم إخلاء سبيله، ووجهت إليهما تهمة الخطف المقترن بالإيذاء والعنف.

عاشت يارا أصعب لحظات عمرها، خوفًا على فلذة كبدها، الذي يحتاج لعناية فائقة، وبمجرد أن تسلمته، عادت به إلى البيت لتهدئ من روعه، وتزيل آثار ما أصابه من خوف، طوال الوقت لم يتركها حاتم، وظل مرافقًا لأخيها عادل، ثم رجعا معًا إلى شقتها للاطمئنان على وائل. كانت يارا تحمله في حضنها بشوق ولهفة، تتأمله بحب وتقبله، جاءت طمطم لتأخذه منها قائلة:

- دعيني أطعمه سيدتي.

ناولته لها فأجلسته في مقعده ودفعته متجهة إلى غرفته، التفتت يارا إلى حاتم:

- أستاذ حاتم لا أعرف كيف أشكرك على..

- تشكريني على ماذا ألا تعتبرينني أخًا لك مثل أستاذ عادل؟

- يعلم الله أني أعزك وأقدرك مثل أخي عادل بالضبط.

- يشرفنا أن تكون أخًا لنا والله يا حاتم بك.

قالها عادل بمودة فأجابه حاتم:

- إذن لا تجعلا بيننا أي تكليف، فأنا لم أفعل غير الواجب.

اغرورقت عينا يارا بالدموع وقالت:

- عندما دخلت غرفة وائل واكتشفت اختفاءه، ورأيت طمطم مكبلة ارتعبتُ، اعتصر قلبي الألم، خفتُ ألا أرى ابني مرة أخرى، كدتُ يُغمى عليَّ من الرعب والهلع.

- وها هو ابنك عاد إلى حضنك ولم يبعد عنك ليلة واحدة.

- التجربة المؤلمة التي عشتها ذكرتني بأم سيدنا موسى التي خافت أن يقتله فرعون وألهمها الله أن تلقيه في اليم وكذلك أمنا هاجر التي علمت أن زوجها سيدنا إبراهيم سيذبح ابنهما سيدنا إسماعيل امتثالا لأمر الله فلم تعترض وتقبلت قضاء الله الذي كافأهم على صبرهم وصدق إيمانهم فأنزل لهم كبشًا، وأوحى لسيدنا إبراهيم أن يفتدي به إسماعيل فأعاده إلى أمه، وأيضًا نجا الله موسى من الغرق وأعاده إلى أمه، بعد أن حرم عليه مرضعات فرعون، هذه الصور الإيمانية طافت بعقلي، وألهمتني الصبر، فاستعنت بالله، حينئذ تماسكت واستعدت رباطة جأشي وقُدرتي على التفكير والتركيز، فاتصلت بكما وبالشرطة.

- هذا دليل على قوة شخصيتك وقدرتك على استلهام كل معاني الصبر والجلد وإنتاج الطاقة الإيجابية التي تنساب منك وتفيض على من يسعده الحظ فيتعامل معك.

- أشكرك أستاذ حاتم وأحمد الله أن هيَّأ لي رجالًا أشداء مثلكما فأستعينُ بكما.

وبدافع حب الاستطلاع والرغبة في الاطمئنان، التفت عادل إلى ضيفهما وسأله:

- حاتم بك، بما أنك عشت لسنوات في أمريكا، هل أنت مطمئن لما ستفعله يارا؟

أدركت أن أخاها قلق من إقدامها على بيع شقتها وإنفاق ثمنها على محاولة فاشلة لعلاج ابنها، تكون عاقبتها الندم وخسارة يصعب تعويضها، فتدخلت موضحة:

- عادل حبيبي، هناك معلومة مهمة جدا شغلتني التطورات فلم أتمكن من إبلاغك بالخدمة الكبيرة التي قدمها لي اليوم أستاذ حاتم.

- يارا هانم لا تبالغي، لم أفعل غير الواجب.

- تصور يا عادل أن هذا الرجل الرائع نجح في إقناع مجلس إدارة البنك بتحمل نفقات علاج ابني؟

- جزاك الله عنا خير الجزاء أستاذ حاتم.

- يا جماعة هذا أقل شيء..

- أما عن سؤالك يا عادل، فسوف يطمئنك الأستاذ حاتم بما لديه من معلومات عن إمكانات العلاج هناك.

قالت ذلك لتدير دفة الحوار، وتشغلهما بالكلام عن رحلة علاج وائل، وقامت متجهة إلى المطبخ، انهمكت في إعداد عشاء فاخر،

وأشارت إلى طمطم، فأتت لتساعدها، واستكملت ما تحتاجه المائدة من مشويات، بمكالمة لأحد المطاعم الشهيرة، وخلال دقائق معدودة، وصل عامل التوصيل بالمطعم، استلمت منه المشويات مغلفة بعناية، تركت طمطم تعد المائدة، وتوجهت إلى ضيفيها كملكة تبتسم في رضا ومودة:

- اسمحا لي أن أقطع حديثكما، فأنا مثلكما لم أتناول طعام الغداء والجوع نال مني ومنكما.. فتفضلا، المائدة جاهزة.

قام حاتم على استحياء، وهو يشم الرائحة المشهية، فلما رأي المائدة عامرة بكل ما لذ وطاب من الطعام، أشار إليها متسائلًا بدهشة:

- يارا هانم متى أعددتِ كل هذه الوليمة الفخمة؟

- عندي ملاك من السماء اسمها طمطم!

قالتها يارا وهي تشير إلى الممرضة بمودة وحب، ثم دعتهما للجلوس ومعهم طمطم، كانت بطونهم خاوية، والطعام رائعًا ومميزًا، أجادت يارا توليفه واختيار مكوناته، فأكلوا بشهية واستمتاع، واعترف حاتم وهو يقوم:

- والله لم أتناول عشاء أطعم ولا أحلى من هذا طوال عمري!

- بألف صحة وعافية.

استكملوا الحديث وهم يشربون الشاي، استعذب حاتم إحساسه بالحميمية والألفة، وانتابه خاطر جريء، فتمنى لو أنه يقضي بقية عمره

مع هذه السيدة الرائعة، التي تفيض رقة وعذوبة وبهجة، حتى أنه لم يشعر بالوقت، إلى أن داعبها أخوها قائلًا:

- كان يومك طويلًا اليوم.

- الحمد لله على كل شيء.

انتبه حاتم إلى أن مؤشر الساعة يُشير إلى منتصف الليل، انتفض واقفًا وقال بصوت يغلفه الحرج:

- سرقنا الوقت وسهرناك يارا هانم، لكن عذرنا أن حديثك الحلو أنت وأخيك عادل بك لا يُمل منه أبدًا.

- اجلسا، لن أنام الآن.

- شكرًا لكرمك وحسن ضيافتك، حان وقت الرحيل.

- تصبحين على خير.

- وأنتما من أهل الخير.

خرجا وأغلقت الباب خلفهما، كانت طمطم قد نظفت المائدة، ودخلت غرفة وائل، نادتها يارا فأقبلت مبتسمة:

- نعم، سيدتي.

- أريد أن أشكرك على مساعدتك لي ومجهودك الرائع في رعاية وائل.

- أنا أحبك وأعتبر نفسي أختك الصغيرة.

- أنت رائعة..رائعة.

قالتها يارا وهي تحضنها وتقبلها بحب ومودة صادقة، ثم تنهدت وقالت:

- كان يومنا قاسيًا.

- نعم، جربت إحساس الرعب واقتراب الموت لأول مرة في حياتي.

- سيلقون عقابًا صارمًا ولن يضيع حقك أنت وطفلي المسكين.

- الله يرعانا جميعًا فنحن أخيار ولا نؤذي أحدًا.

- اذهبي إلى سريرك عزيزتي وتصبحين على خير.

- تصبحين على ألف خير سيدتي.

بدلت يارا ملابسها، وارتدت قميص النوم، تمددت في السرير، واستعصى عليها النوم، ظلت تتقلب على الفراش، وتراوغ الأفكار المتزاحمة في عقلها، إلى أن هدأت واستكانت، غفت واستسلمت للنوم، أشرق عقلها بأطياف حلم جميل، فرأت نفسها تُزفُّ إلى حاتم، فيحملها على حصانه الأبيض، وينطلق بها وسط حدائق غنَّاء، وبساتين مثمرة بفواكه رائعة، زاهية الألوان، فواحة الرحيق، ولم يتوقف إلا في مدخل قصر فخم محاط بأشجار النخيل، نزل من فوق الحصان وحملها بين ذراعيه إلى داخل القصر، أجلسها على أريكة وثيرة، فتمددت وجلس

أمامها على ركبتيه يتأملها بلهفة العاشق، ويبوح لها بأروع مشاعر الحب، أسكرتها كلماته المفعمة بالعاطفة، فابتسمت بسعادة وفرح وضحكت من فرط اللذة والبهجة، أثارته رنة ضحكها، كأنها تعزف بأوتار صوتها، نغمة العشق واللهفة، وتبدي رغبتها للذوبان في عطف وحنان ذلك العاشق الولهان، مال نحوها وقبلها فذاق من فمها رضابًا أشهى من العسل، وفجأة انطفأ الحلم المشرق في عقلها، وانتبهت على الكتاب يسقط من بين يديها، استفاقت وأدركت أنها في منزل الدكتورة نجوى بأمريكا، كانت الأفكار تتوارد إلى عقلها كرذاذ عطر مُنعش يوقظ ضميرها ويبدد خمولها، فتحت الكتاب وعاودت القراءة، توقفت كثيرًا أمام أشعار وابتهالات ومناجاة رابعة العدوية لربها بحب جارف كأحلى وأعذب ما يكون الحب، في تلقائية ومشاعر صادقة:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك وأغلقت قلبي عمن سواك

وكنت أناجيك يا من ترى خفايا القلوب ولسنا نراك

أحبك حبين: حب الهوى وحبًّا لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك

استغرقها التأمل ومشاعر الزهد التي بدأت تنبت وتنمو بأعماق نفسها التواقة للسمو والرضا، حتى أقبلت عليها نجوى بابتسامتها الحلوة:

يارا حبيبتي، أعرف أنك لم تنامي جيدًا لقلقك على وائل، اطمئني فزملائي يراقبون حالته وقد أكدوا لي نجاح العملية.

الحمد لله، أحمدك يا رب وأشكر لطفك وكرمك ورحمتك بنا، اللهم امنحني القدرة على شكرك وحسن عبادتك.

سنتناول الفطور ونذهب معًا إلى المستشفى، تفضلي.

ربنا يزيد فضلك يا حبيبتي.

***

سعدت يارا وهي تتأمل طفلها، بعد أن رفعت نجوى مقدمة السرير وجعلته يجلس ويتحدث إلى أمه، فيسألها عن الحلوى التي اشترتها له، وكانت نجوى قد زودتها بنوع من المسكن المخصص لعلاج الأطفال، على شكل الحلوى الجيلاتينية التي يحبونها، فقدمتها له يارا وفرح بها، فأكلها مستمتعًا، وأشرق وجه يارا بابتسامة رضا ومحبة، التفتت إليها نجوى وصارحتها قائلة:

أجريتُ جراحات مشابهة لأطفال غير ابنك وفي كل مرة كنت أعمل وأنا مرعوبة لأن أقل غلطة بالمشرط قد تقطع شريانًا وتؤدي لكارثة لا سمح الله، لكن مع وائل حدث لي شيء عجيب لا أعرف تفسيره حتى الآن.

ماذا حدث؟

خُيِّل إليَّ أنني أرى سهمًا أخضر يطفو على مخ وائل فيرشدني ويقود المشرط بين أصابعي للمكان الصحيح بدقة مذهلة، وتمت العملية بنجاح في وقت قياسي.

هذا من فضل الله ورحمته بي وبهذا المسكين، يا رب ألهمني أن أشكرك وأعبدك كما ينبغي، يا رب إني خجول منك وأستحي من تقصيري في شكرك وعبادتك..

كانت يارا ترفع يديها ووجهها نحو السماء، تدعو بخشوع وندم ثم أجهشت بالبكاء، ربتت نجوى على كتفها مهدئة:

لا، أرجوك لا تبكي أمام وائل، هل أنا غلطانة لأني صارحتك.

بالعكس، كلامك أثلج صدري وجعلني أزداد يقينًا بأن الله يتغمدني أنا وابني بلطفه ورعايته، ولولا لطف الله ورحمته لكنت الآن حطام امرأة، وما يبكيني هو إدراكي متأخرًا بأنني لم أكن وحدي وكان الله دائمًا يرعاني وأنا غافلة، كنت غافلة...

وعاودت البكاء، فقامت نجوى وغمزت لطمطم لتشغل وائل، ثم جذبت يارا من يدها وخرجت بها متجهة إلى دورة المياه، فدعتها لغسل وجهها، أخرجت من حقيبتها زجاجة عطر وزخت منها رذاذًا على وجه يارا، فابتسمت وقالت:

كفى، أشكرك.

بكاؤك هذا منعني من أن أبوح لك بسر آخر.

قولى أرجوكي.

أخشى أن تعاودي البكاء.

أعدك أن أتمالك أعصابي.

في الليلة التي سبقت استقبالي لك بالمطارحدث شيء عجيب.

ما هو؟

حلمت باجتماعنا في مجلس العائلة احتفالًا بعيد ميلاد أبي، أنا ليس لي إلا أخت وحيدة وثلاثة إخوة، ولكني حلمت بأننا ملتفون حول المائدة وأبى يستعد لإطفاء شموع تورتة عيد الميلاد ولكني لاحظت وقوفك بيننا فسألت إخوتي عنك والجميع يجيبني: أختك يارا هل نسيتها، تذكرت هذا الحلم حينما استيقظت، فاتصلت بالمطار وعرفت موعد وصول طائرتك فسارعت بالذهاب لأكون في استقبالك وكنت أنتظرك بشوق وكأنني فعلًا أستقبل أختًا غابت عني سنوات طويلة.

أنت فعلًا أختي، وتعجز الكلمات عن وصف حبي وتقديري وشكري لك.

لا، على ماذا تشكريني؟

لم يشكر الله من لم يشكر الناس..

حبيبتي، الشكر لك أنت لثقتك بي وإعطائي هذه الفرصة لجعل حالة ابنك موضوعًا لرسالة الدكتوراه التي أعدها.

ربنا يوفقك ويكتب لك النجاح دائمًا.

أشكرك وأرجو ألا تضيقي بالحياة هنا لأن علاج وائل قد يستغرق ستة شهور.

ستة شهور؟! هذه مدة طويلة وأنا..

لا تنسي أن العلاج التأهيلي والطبيعي بنفس أهمية العمليات الجراحية، وعضلات وائل أخذت في الضمور ولن يقوى على المشي والحركة إلا بتقويتها.

لكني أرغب في الانتقال إلى فندق مناسب حتى..

حبيبتي، أنت بعيني، هل قصرتُ معك في شيء؟

لا والله أبدًا، ولكني خجول من تحملك نفقات إقامتي.

أنت أختي، والله أنا سعيدة بوجودك معي، تؤنسين وحدتي على الأقل.

إذن دعيني أساهم في مصاريف البيت.

عيب، ماذا تقولين؟ يارا حبيبتي، نحن أثرياء وما زالت لدينا أملاك في لبنان..إياك أن تفكري هكذا، أنت أختي حبيبتي.

بارك الله فيك.

(١٢)

جلسا بغرفة المكتبة، نجوى تقرأ في مراجعها العلمية، وتسجل بعض الملاحظات بينما انشغلت يارا بمطاردة أفكارها وهي تتصفح كتابًا عن سيرة الزاهد الصوفي عمر بن الفارض وأشعاره، وبين صفحة وأخرى يشرد عقلها، لتتذكر حديثًا مع حاتم أو كلامًا لنجوى، ثم قالت لنفسها: "نجوى زوجة رائعة ولو كنت رجلًا ما تخليت عنها، فهل يريدني حاتم لنزوة في البعد عنها أم سيجمع بيننا ويكون عادلًا؟ وماذا لو قرر العودة إلى هنا؟ وهل تقبل نجوى أن تكون لها ضرة تشاركها زوجها؟ ولو عرفت أنني المرشحة لأكون ضرتها أتحبني وتعتبرني أختها كما تفعل الآن؟".

مَرَّ الوقت ويارا تتصفح الكتاب تارة وتارة أخرى تراودها أفكار وهواجس متناقضة، التفتت إليها نجوى قائلة:

- أنا سعيدة لأنك وجدت بالمكتبة كتبًا تعجبك.

تحرجت يارا وخشيت أن تكون نجوى قد لاحظت عدم تركيزها في القراءة ولكي تثبت لها العكس، أشارت إلى صفحة بالكتاب قائلة:

- تأملي ماذا يقول عمر بن الفارض في إحدى قصائده، واصفًا حبه للمولى عز وجل كأحلى وأجمل ما يصف محبوب مشاعره عمن يحبه، إذ يقول:

لا تحسبوني في الهـــوى متصنعًا
كـلفي بكم خُـلق بغـير تكلف

أخفيت حبكم فأخـفاني أســى
حتى، لعمري كدت عني أختفي

وكـتمته عـني، فـلو أبـديـــته
لوجدته أخفي من اللطف الخفي

- رائع.

- كيف جمعت بين كتب الطب والشعر؟

- أبي كان أستاذًا للأدب العربى بجامعة فلوريدا، وعندما أصابه المرض في أخريات أيامه، أنتقل ليعيش معي هنا باعتباري طبيبة وأستطيع أن أرعاه طبيًّا، ولما توفي بقيت مجموعة من كتبه عندي.

- حقًّا هي مجموعة قيمة.

- لو لم تكن موجودة لربما لم تجدي في المكتبة ما يغريك بالقراءة.

- أنا فعلًا مستمتعة جدًّا بما أطالعه فيها من روحانيات تنزل على قلبى بردًا وسلامًا.

- بعد رؤيتك وائل اليوم، أرجو أن تطمئني وتتأكدي أنني أمينة عليه وأعتبره ابني.

- متيقنة من هذا، بارك الله فيك.

- ألم تجوعي بعد؟

- لا.

- لكني أشعر بالجوع، و"زوزو" على وشك أن تصل، فلِمَ لا نتهيأ للخروج فنأخذها ونذهب للغداء بالمطعم اللبناني؟ سيعجبك.

- هيا بنا.

هكذا مرت الأيام بين زيارات للمستشفى، وخروجات للتنزه أو الشراء، وتوطدت العلاقة بين يارا ونجوى لدرجة أن كلًّا منهما تتمنى ألا تفارق الأخرى، بعد أسبوع غادر وائل المستشفى، وكانت نجوى تعده لعمليات أخرى لشد أوتاره المرتخية، وهي عمليات دقيقة جدًّا، تتعاون نجوى على إجرائها مع نخبة من الجراحين ، وهكذا عاد وائل إلى غرفة العمليات بعد شهر، ولكن هذه المرة طالت إقامته بالمستشفى، فقد انتظروا حتى التأمت جروحه من العمليات، ثم بدؤوا جلسات

العلاج الطبيعي وعلاج عيوب النطق والكلام، استلزم ذلك إقامة دائمة ليارا بالمستشفى لمرافقة ابنها بهذه الجلسات ورفع معنوياته، فخصصت لها إدارة المستشفى غرفة كبيرة بها دولاب وتسريحة وثلاجة وثلاثة أسرة، وكانت حالة وائل تتقدم وتتحسن بشكل مطرد فأشاع فيمن حوله جوًّا من البهجة والسعادة وهو ينتصب واقفًا ويخطو أولى خطواته في المران بثقة وفرحة، كان برنامج العلاج لا يقتصر على تعليمه المشي، بل امتد لممارسته الرياضة وتعلم السباحة ولعب الكرة وتعلم القراءة والكتابة والرسم والغناء والعزف على الجيتار، وبقدر ما كان تجاوبه وسرعة تعلمه تسعد أمه، كانت الدكتورة نجوى في قمة السعادة لنجاحها في علاجه بتوفيق الله ورعايته، وأحبت وائل حبًّا شديدًا كأنها أمه التي ولدته، فتأخذه معها لرحلات المرح والنزهة، ويظهر معها في البرامج التليفزيونية واللقاءات الصحفية، وتحول وائل إلى أيقونة للنجاح، وكانت يارا تحرص على قيام الليل لتصلى وتقرأ القرآن وتبتهل الى الله لتشكره على هذا الحلم الذي تحقق وكانت تظنه بعيد المنال.

وذات يوم خرجوا إلى منتزه "بايفرونت"، وفي جلسة استرخاء وجهت نجوى نصيحة ليارا:

- من مصلحة ابنك أن يخضع لبرنامج تعليم مكثف هنا.

- أدري أن التعليم هنا متقدم جدًّا ولكنه مكلف وظروفي لا تسمح، فلولا استجابة مجلس إدارة البنك الذي أعمل به لدعوة أستاذ حاتم وتبرعهم بتكلفة علاج وائل ما أتيت ولا تم علاجه هنا.

- ما دام لديك خبرة بالعمل البنكي، ابحثي عن عمل هنا، وابقي حتى يعوض ابنك ما فاته ويحصل على تعليم يجعله يلحق بأقرانه وربما يتقدم عليهم.

- أيعقل أن يدعمني البنك ويتحمل تكلفة علاج ابني ثم أقدم استقالتي وأعمل هنا؟!

- حبيبتي، لقد أعطيتِ عشر سنوات من عمرك للبنك، إن كانوا قد خصصوا تبرعاتهم لعلاج ابنك فهذا حقك عليهم، أليس الأقربون أولى بالمعروف؟

- وهل تعتقدين أن فرصتي للعمل هنا كبيرة؟

- أراك تجيدين الإنجليزية ولديك خبرة في العمل البنكي وهذا كله يؤهلك للعمل هنا.

- لكن هذا سيتطلب أن أجهز سكنًا وأفرشه وليس لديَّ حاليًّا إمكانات مادية لهذا.

- بيتي هو بيتك، ابقي معي حتى تحصلي على عمل والبنك سيعطيك قرضًا للسكن والسيارة، هذا سهل.

- لكن تأشيرة دخولي..

- حبيبتي، ابدئي اليوم لتحصلي على فرصة عمل قبل سفرك فترجعي بتأشيرة عمل.

- إنها فكرة جيدة أشكرك عليها، لكني أحتاج لدراستها جيدًا.
- لا تضيعي الوقت وربنا يكتب لك الخير ويلهمك الصواب.

تعجبت يارا في نفسها، وخمنت أن شفاء وائل سيطبع حياتها بلون البهجة ويأخذها إلى عالم آخر لم تحلم به ، لكن في أعماقها أحست ارتياحًا لفكرة نجوى، لقد تعذبت سنوات طويلة وابنها يعاني، دون أن يتعاطف معها أحد من أهلها، وحتى والده تنكر له وتخلى عنها، فلماذا تتمسك بالعودة إلى الأهل والديار وأمامها فرصة لتعيش الرفاهية والبهجة التي حُرمتها بين أهلها، حيث عانت في صمت إلى أن بعث الله برجل يفكر بطريقة عملية، فساعدها على السفر بابنها وأوصى زوجته بها خيرًا، ظلت تفكر إلى أن هداها عقلها، فاقتنعت بفكرة نجوى، وبدأت في تصفح الجرائد، ومن خلال الإنترنت أرسلت طلبات توظيف لعدة بنوك، وكانت نجوى تشجعها، تسلمت ردودًا إيجابية من بعض البنوك، وذهبت لعمل مقابلات شخصية، أسفرت خلال أيام عن تلقيها عدة عروض للعمل بمرتب جيد، كانت متفرغة للتواصل مع البنوك المختلفة، وتركت أمر ابنها للدكتورة نجوى، التي كانت تأخذه معها إلى الجامعة والمستشفى ووسائل الاعلام، وكانت تفخر دائمًا بأنها نجحت في تطبيق الطب الذي تعلمته والشاهد على نجاحها وإتقان عملها هو الطفل وائل.

واحتفالًا بحصولها على درجة الدكتوراه بامتياز أقام المستشفى حفلًا لتكريم الطبيبة البارعة نجوى كرامي، وظهر وائل إلى جانبها في

الحفل مرتديًا بذلة فاخرة ويضع ربطة عنق على شكل فراشة (بابيون)، فصعد إلى المنصة ليصافح الدكتورة نجوى ويقبل يدها فتنحني لتطبع قبلة على خديه ثم يلوح بالتحية لجمهور الحاضرين، وتقدم له الميكروفون ليقول كلمة فيبتسم بخجل ويقول:

- بسم الله الرحمن الرحيم..الحمد لله، كنت أعاني الشلل الرباعي، ولكن الله وفق الدكتورة نجوى في علاجي فتعافيت بإذن الله.

وتدوي القاعة بتصفيق الحضور، وينهض مدير المستشفى ليقدم درع التكريم للدكتورة نجوى ثم تلتقط لها مع وائل ومدير المستشفى صورًا تذكارية، وبعدها قدم وائل عزفًا على الجيتار يؤكد تمام شفائه وقدرته على استخدام أطرافه وأوتاره بطريقة جيدة ومبدعة، في تلك الليلة نالت يارا من الفرحة ما لم تقدر على تحمله فتعذر النوم عليها واستعصى، تمددت في السرير تفكر وأخذها شريط الذكريات إلى أيام المعاناة والعذاب.

***

كثيرًا ما كانت تصحو مفزوعة على صراخ طفلها وائل كلما عاودته نوبة الصرع، فتجري مهرولة إلى غرفته، لتجد طمطم قد سبقتها إليه، وأخذت تتعامل معه لكي تهدئه، يعتصر قلبها الألم وهي تراه متشنجًا يرتجف ويتألم، تسأل طمطم:

- كيف أساعدك؟

- ضعي يدك فوق هذه حتى لا يعض لسانه، ويدك الأخرى هنا حتى لا يهتز ويقع وسوف أعطيه حقنة مهدئة حالًا.

بمجرد أن سرى المسكن في عروقه، استكان وهدأت حالته فارتخت أوصاله، وراح في النوم، التفتت إليها طمطم فرأتها تبكى:

- اطمأني سيدتي، إنه الآن بخير، قومي إلى سريرك.

- ارحمنا وارحمه من هذا العذاب يا رب.

- أحقًّا تراجعت عن بيع الشقة سيدتي؟

- نعم، لن أضطر لبيعها.

- الحمد لله، كنت حزينة لبيعها.

- أكرمنا الله ودبر لنا تكلفة العلاج وسيمن علينا بالشفاء إكرامًا لهذا المسكين.

- إذن لا تبكي ولا تحزني، هيا أكملي نومك لتقدري على مواصلة عملك في الصباح.

تنهدت يارا وقامت إلى سريرها وهي تسترجع تفاصيل حلم جميل يراودها منذ فترة وتتمنى أن يصبح حقيقة، فحاتم هو فارس أحلامها، الذي أتى في غير موعده، لكن يستعصي عليها النوم وتغالب الأرق، حتى يهدها التعب فتغفو قليلًا، ولا يمر وقت طويل، إذ تفيق على طرق خفيف لباب الغرفة، أدركت أنها طمطم، التفتت إلى مؤشر الساعة اعتدلت في سريرها وقالت:

- ادخلي يا طمطم.

- ألن تذهبي إلى عملك اليوم سيدتي؟

سألتها وهي تدخل فأوحت لها بفكرة، زمت شفتيها وفكرت لحظة ثم قالت:

- كيف حال وائل الآن؟

- بخير ومستغرق في النوم.

- للأسف، لم أنم جيدًا وأشعر بالإرهاق.

- أتستكملين نومك أم أعد الفطور؟

- لا أدري.

ضحكت طمطم فجارتها يارا وانفجرت تضحك بعفوية وتلقائية، قامت من السرير فأومأت لها طمطم قائلة:

- إذن سأعد الفطور.

- شكرا حبيبتي، ءاا.. طمطم..

- نعم سيدتي؟

- أنت رائعة.

- أنت أروع سيدتي.

حاولت يارا أن تجمع شتات عقلها وتطرد الكسل والوخم عن جسمها، فردت ساقيها وذراعيها، أدت بعض التمارين الرياضية، التقطت أنفاسها، دخلت المطبخ، شربت كوبًا من الماء، ثم دلفت إلى الحمام، خرجت فصلت ودعت الله أن يشفي طفلها، كانت طمطم مشغولة بإعداد الفطور، أيقظت يارا ابنها وأخذت تلاعبه، حملته إلى الحمام، غسلت وجهه، بدلت ملابسه، جلسوا حول المائدة، تعاونتا على إطعام وائل، فجأة ابتسمت يارا وقالت:

- ليس لي مزاج للعمل اليوم.

- لماذا سيدتي؟

- لم أنم جيدًا وأخشى أن أبدو بمظهر سيئ.

- بالعكس، وجهك مشرق، ما شاء الله.

- حبيبتي أنت، يا رافعة معنوياتي.

قالتها وهي تداعب طمطم وتربت على كتفها وقامت إلى التليفون، طلبت رقمًا وقالت:

- آلو، مزعجة أنا؟

- يارا هانم، صباح الخير.

- صباحك خير وبهجة وسعادة.

- كيف حالك؟

- مجهدة ومرهقة جدًّا وأفكر في الاعتذار عن العمل اليوم.

- ألمجرد الإرهاق تغيبين عن العمل؟

- الحقيقة أنني لم أنم طوال الليل.

- الحال من بعضه، فأنا بسببك لم أذق طعم النوم.

- بسببي أنا؟

- طبعًا يا هانم ومن غيرك يقدر على ذلك؟

- أتدري أنك كنت معي طوال الليل؟

- لا من فضلك، أنا متذكر جيدًا، خرجت من بيتك بصحبة أخيك عند منتصف الليل.

- صحيح، لكني نمتُ فرأيتك في الحلم.

- حقًّا، هذا شرف كبير لي، وماذا كنتُ أفعل في الحلم؟

- كنت حنونًا ولطيفًا مثلما أنت في الواقع.

- يارا هانم، سأنتظرك بمكتبي لتقصي عليَّ ما جرى في هذا الحلم.

- لا، أعطني إجازة اليوم.

- اليوم بالذات لا يمكنك الغياب.

- لماذا؟

- كيف تغيبين وأنا سهران طوال الليل؟

- أكنت تحلم بي أنت أيضًا؟

- لن أبوح لك بشيء قبل أن تقصي عليَّ حلمك.

- ألا تعرف أن الخجل من طبع النساء.

- والرجال أيضًا.

- الرجال قوامون على النساء وأكثر منهن جرأة.

- الحقيقة أنني لم أنم لكي أحلم وسهرت بسبب فرق التوقيت بيننا وبين أمريكا، فقد كانت زوجتي الدكتورة نجوى تحدثني عنك وأرسلت لي بالبريد الإلكتروني الموافقات الطبية التي بمقتضاها تحصلين على تأشيرة الدخول للولايات المتحدة الأمريكية.

- أحقًّا ما تقول؟

- لذلك قلتُ لك لا ينفع أن تغيبي اليوم، هيا، لتأخذي الموافقات الطبية وتذهبي إلى السفارة.

- حالًا سأبدل ملابسي وأسبقك إلى البنك.

- إلى اللقاء.

أغلقت التليفون واستدارت تنادي طمطم بفرحة وانفعال:

- طمطم، سنسافر يا طمطم، أين جواز سفرك؟

- أجاءت الموافقات سيدتي؟

- نعم وستكونين معي، يااااه، إنه حلم، سيجرون لوائل العمليات اللازمة ويُشفي.

- بإذن الله سيدتي.

- سيفرد قامته ويقف ويمشي على قدميه ويحرك يديه ويتكلم بطلاقة ويذهب مع رفاقه إلى المدرسة، سيصبح طبيعيًّا كبقية الأطفال، آاااه، يا ربي حقق لي حلمي ولا تخيب رجائي، يا رب وفقني واكتب لوائل الشفاء.

(١٣)

في البنك أعطاها حاتم الموافقات الطبية، وشرح لها كيفية الحصول على التأشيرات من السفارة وحثَّها ألا تضيع الوقت، شعرت نحوه بتقدير شديد، تمنت لو كانت تستطيع أن تحضنه وتقبله، وتبثه عواطفها وحبها الجارف له، شكرته وخرجت متجهة إلى السفارة لتقدم جوازات السفر والمستندات المطلوبة.

رجعت يحدوها أمل كبير أن يصبح طفلها بفضل الله ورعايته طفلًا طبيعيًّا قادرًا على الكلام والحركة كغيره من الأطفال الأسوياء، وفي غمرة فرحتها، نادت طمطم قائلة:

- طمطم.. ماذا تفعلين؟

- أعد الطعام سيدتي.

- لا، لا تتعبي نفسك، اليوم سنخرج لنفرح ونبتهج، سنتغدى في أفخم مطعم تختارينه، هيا جهزي وائل للخروج.

ابتسمت طمطم وسألتها بدهاء ومكر:

- هل سينضم إلينا أحد الضيوف؟

- لا يا طمطم إن كنت تقصدين أستاذ حاتم، فهو لن يأتي، ليتك تطمئنين ويرتاح بالك.

- سيدتي، لا أقصد شيئًا والله، لكني أحب أن أراك سعيدة ومبتهجة.

- وهل تبدو عليَّ السعادة في وجود حاتم؟

- بصراحة نعم.

- المشاعر الحقيقية لا يمكن إخفاؤها.

- والإنسان الصادق مع نفسه والآخرين لا يخفي مشاعره.

- المشكلة يا طمطم أنه متزوج ولديه طفلة وقد تكون زوجته أفضل مني.

- ولو كان غير متزوج، هل كنت تخبرينه بمشاعرك؟

- والله لو كان خاليًا لخطبته أنا لنفسي.

- إلى هذه الدرجة تحبينه؟

- الحب إعصار لا يقاوم، فاذا أصابنا لا نملك له صدًّا ولا ردًّا.

- ألم يكن زواجك عن حب؟

- للأسف، كان زواجًا عائليًّا، يراعي فقط مصالح الآباء وأهواءهم.

- لماذا وافقت؟

- كنت صغيرة لا أدري شيئًا عن الحب ولم تكن مشاعري قد نضجت بعد.

- أنا عكسك تمامًا.

- كيف؟

- ضغطت أمي على لأتزوج ابن خالي وكنت أكرهه فرفضت وقاومت ولولا ذلك لفقدت حريتي وتحولت إلى زوجة بائسة تخدم زوجًا سكيرًا وحفنة من الأطفال الجياع.

- ولم تتزوجي حتى الآن، ألم يساورك الندم؟

- ما زلت في منتصف العقد الثالث من عمري، وإذا رزقني الله برجل مناسب سأتزوجه، وإلى أن يحدث ذلك، فأنا أمارس حياتي بحرية فأعمل وأكسب وأساعد إخوتي.

- ألا تخافين العنوسة؟

- الزواج رزق مثل الصحة والمال وراحة البال، فإن كتبه الله لي سيأتي في موعده وإن لم يكن لي في الزواج نصيب، سأرضى وأعيش متصالحة مع نفسي.

- يعجبني تفكيرك وقوة شخصيتك، أنت رائعة يا طمطم.

- أنت أروع سيدتي.

- هيا نستعد للخروج لنسعد ونبتهج، هيا.

تناولوا الغداء في أحد المطاعم الفخمة، ثم انتقلوا الى كافيه، وقبل أن يطلبوا شيئًا يشربونه، لمحت يارا طليقها عاصم، يدخل من باب الكافيه، ويدور بعينيه على الموائد بنظرة زائغة، فكرت يارا أن تنصرف، لكنه رآهم فاتجه إليهم كأنه وجد ضالته، تكدرت ملامح يارا ولاحظ عاصم امتعاضها، فكبت مشاعره وتظاهر بالمودة، اقترب منها وهو يتصنع الابتسام وقال:

- مساء الخير يا بنت عمي.

- مساء الخير.

ردت عليه بفتور وعدم ارتياح، انحنى على وائل يقبله، وسألها باستعطاف:

- أتسمحين لي بالجلوس؟

- أنت جلست بالفعل، خيرًا.. ماذا تريد؟

- إلى هذه الدرجة لا تسرك رؤيتي؟

- ماذا تريد مني يا عاصم؟!

- على الأقل حافظي على المظاهر أمام خادمتك ورواد الكافيه!

- انها ليست خادمة، بل هي ممرضة تقوم برعاية وائل.

- سيدتي، سأذهب للفرجة على المحلات.

قالتها طمطم وهي تقوم بحرج، فأشارت يارا إلى الطفل قائلة:

- من فضلك، خذي وائل معك حتى لا يسمع ما لا يجب.

- لن أتعارك معك يارا، فاهدئي لنتفاهم.

- على أي شيء نتفاهم يا عاصم؟

- أعرف أن حالة وائل صعبة وتجعلك متوترة وأنا أعذرك.

- أنسيتَ أنه ابنك من صلبك ويحمل اسمك؟

- نعم وهذا ما جعلني أراجع نفسي فدبرت لك هذا المبلغ لعله يساعدك في علاج وائل ولا تضطرين لبيع شقتك.

- وفر فلوسك يا عاصم، فقد جئتَ متأخرًا جدًّا.

- منذ أسبوع وأنا أحاول إقناع أخيك عادل بالمجيء معي إلى بيتك وهو يرفض.

- ولجأت لمراقبتي وتبعتني إلى هنا، لن تتغير أبدًا يا عاصم.

- اعذريني يا بنت عمي، والله أمر بأزمة ماليـة ومـشروعي تهـدده إنذارات الديون.

- واضح، واضح.. لذلك أقول لك وفر فلوسك.

- يارا، يُسيئني جدًّا أن تمري بضائقة وتبيعي شقتك فخـذي منـي هذا المبلغ لعله..

- لن أحتاجه فوفره لنفسك.

- أرجوك لا تردي يدي.

- جئتَ متأخرًّا جدًّا وانكشف موقفك على حقيقته.

- أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي أبدًا.

- في حالات كثيرة لا ينفع هـذا المثـل الإنجليـزي خـصوصًا مـع المرضى.

- أقسم لك أنني لم أعلم بخطف وائل وفوجئت بما فعله شـوكت العنتيل.

- سيأخذ جزاءه العادل.

- كانت غلطة ظنًّا منه أنك تمنعينني من رؤية وائل.

- حتى لو كان هذا فهمه الخـاص بـه، فـلا يـبرر ترويعـه للطفـل والممرضة ولي كوني أمًّا.

- آسف جدًّا وبالنيابة عن شوكت أعتذر لك راجيًا صفحك وغفرانك.

- صفح؟ عن أي صفح وأي غفران تتحدث؟ إنها جريمة خطف وترويع مكتملة الأركان ومع سبق الإصرار والترصد.

- شوكت أخطأ، لا جدال في ذلك، لكن المسكين لديه أسرة وأطفال.

- ومن لديه أطفال يرضى بترويع طفل وأسرته؟ أيقبل أن يحدث ذلك لأسرته؟

- كانت غلطة، فسامحيه واغفري.

- لا، لستُ مسيحًا يغفر الخطايا ولن أفرط في حق ابني.

- يارا، لأجلي اصفحي.

- أريد أن أفهم سبب حماستك ورغبتك في مساعدة مجرم يستحق أشد العقاب؟

- كان يفهم دقائق العمل عندي وأسراره في المحطة وبدونه لا يسيرالعمل كما أريد.

- ألا تخجل وأنت تعترف أن عملك يعتمد على بلطجى شرير مثله.

- حبه لي هو الذي دفعه لذلك وكان لا يقصد ترويع أحد.

- كفى، إن جئت لكي تساومني فلن أتنازل ولا بد أن ينال ذراعك الأيمن مايستحقه.

- صدقيني، أسرته ستضار ولا ذنب لهم.

- وفر فلوسك لتساعدهم بها حتى يقضي شريرك المفضل عقوبته ويخرج من السجن.

- يارا.. لماذا تصرين على تعميق الخلافات بيننا؟

- لأني صادقة ولا أهوى الخداع.

- أهذا آخر كلام؟

- ولن أغير موقفي مهما يحدث.

- إذن لا تنسي أن وائلًا ما زال ابني ويحمل اسمي ولن تسافري به إلا بموافقتي.

- أتخشى أن يعالج ويعرف كراهيتك له فينتقم منك؟ اطمئن، فسوف يكبر ولن يعاملك إلا بالإهمال والاحتقار الذي تستحقه.

- أعرف أنك تربينه على كراهيتي.

- وسيكون هو انتقامي الوحيد منك.

- أنت واهمة ولن تجدي علاجًا له وسيبقى مسخًا يعذبك طول العمر لأنك السبب فيمَ أصابه.

- أهذا ما تتمناه لابنك يا حقير يا جاهل؟ هيا اغرب عـن وجهـي وإلا صرخت وفضحتك.

- ستندمين يارا، ستندمين كثيرًا.

- لا تختبر غضبي فتلحق بمساعدك وتُلقى معه في السجن.

- ستندمين..

- داهية تأخذك أنت وأمثالك يا نذل..يا حقير.

قام وهو يفرك أصابعه بتوتر وعصبية والغضب يصبغ وجهه بلـون أحمر عكر، مشى منكس الرأس وابتعد، كانت ترمقه بمزيج من الغضب والاحتقار، فجأة تنبهت إلى أنه لو قابل طمطم ومعها وائـل فقـد يقـدم على تصرف أحمق وخافت على طفلهـا، فقامـت لتبحـث عـن طمطـم، تحركت وتلفتت في كل الاتجاهات، دقات قلبها تتسارع والعرق يتصبب من جبينها والقلق يربك خُطاها، فتتخبط في الناس وتعتذر، أخيرًا وقـع بصرها على طمطم تدفع مقعد وائل وتخرج به من أحد المحال التجارية، تنفست الصعداء ونادتها وهي تسرع الخطا نحوها، تأملتها طمطم بقلق وسألتها:

- ماذا بك سيدتي؟

- أيبدو على وجهي الجزع والانزعاج؟

- نعم، اطمئني، وائل بخير.

- الحمد لله، هيا بنا.

عادت إلى البيت وانشغلت بتجهيز البانيو لكي تحمم طفلها، كانت تحب أن تراه نظيفًا معطرًا كزهرة نقية، عطرت ماء البانيو الدافئ، خلعت ملابس وائل وهي تداعبه وتغني له، وضعته في الماء فابتسم ولم يبكِ مثل بعض الأطفال، كان مستسلمًا لها، فغسلت جسمه بالشامبو، ثم بالماء الدافئ، فردت بشكيرًا قطنيًّا فوق فخذيها ثم أخرجت طفلها من الماء ولفته جيدًا بالبشكير، جففته وألبسته ملابس نظيفة وخرجت من الحمام وهي تحمله وتغني له، رن جرس الباب، أشارت لطمطم لكي تأخذ وائل إلى غرفته وفتحت الباب لتجد أخاها عادل، رحبت به وجلست إلى جواره على الأريكة، سألها عن أخبارها، فابتسمت وقالت:

- الحمد لله، كأن الله أرسل أستاذ حاتم في هذا التوقيت ليساعدني في علاج وائل.

- واضح أنه متعاطف معك.

- لا أدري ماذا كنت سأفعل لولا مساعدته لي.

- ربما يكون قد حدث استلطاف بينكما أو..

- لا، لا، إنه رجل شهم خدوم بطبعه.. حاتم هذا مثال للعربي الأصيل.

- أول مرة أسمعك تشهدين لرجل بكل هذه الحماسة.

- لو تعاملت معه ستدرك أنه مختلف، أمثاله أصبحوا عملة صعبة هذه الأيام.

هز عادل رأسه وهو يفكر ويحاول صياغة سؤاله المباغت لها، وفي تلك اللحظة رن جرس التليفون، فرفعت السماعة وردت:

- آلو.

- مساء الخير يارا هانم.

- مساؤك خير وبركة أستاذ حاتم، والله كنا في سيرتك الآن أنا وأخي عادل.

- بلغيه سلامي وتحياتي.

- سلمك الله من كل شر، أستاذ حاتم يسلم عليك يا عادل.

- الله يسلمه، بلغيه تحياتي.

- يارا هانم، هل قدمت أوراقك للسفارة الأمريكية اليوم؟

- نعم، أوراقي مستوفاة وأخذوها لكني رأيت حالات رفضوا أن يعطوها التأشيرة.

- لا، اطمئني، فسفرك للعلاج يرحبون به كاعتراف بتقدم الطب عندهم.

- كل آمالي معلقة بهذه الرحلة وأحلم بأن أعود وابني وائل قد عولج وأصبح طبيعيًّا.

- ضعي أملك وثقتك كلها بالله عز وجل.

- ومن لنا غير الله ومن يرسلهم لنا من الخيرين أمثالك أنت والدكتورة نجوى.

- نحن لم نفعل شيئًا، إن كل توفيق من الله.

- ونعم بالله.

- أردت فقط أن أطمئن عليك، قبِّلي وائل وتصبحون على خير.

- وأنت من أهل الخير.

وضعت السماعة والتفتت لأخيها تسأله:

- ماذا تشرب يا عادل؟

- يارا.. أحقًّا تحبين حاتم؟

- هه، عادل.. لماذا تقول ذلك؟

- أجيبيني بصراحة، ثم أخبرك بسبب هذا السؤال.

- لا يا عادل، سؤالك مُريب ويخفي شيئًا وراءه!

- هاتفني عاصم وهو ثائر وادعى أنك تواعدين حاتمًا وتتقابلان في المطاعم والكافيهات.

- ابن عمك هذا مريض بداء اسمه الحقارة، ولولا أنه نذل وحقير ما تفوَّه بهذه الأكاذيب.

- كنت أعرف أنه يكذب ولكني أردت أن أتشاور معك.

- لا يا عادل، ما كان يجب أن تسمع منه أو تسمح له بالتحدث عني بمثل هذه الحقارة.

- أنت نفسك قلت إنه مريض والمريض لا حرج عليه.

- هذا الحقير الفاشل كان يراقبني وتبعني إلى كافيه جلست فيه مع وائل وطمطم لنأخذ مشروبًا بعد الغداء، وجاء يساومني لأصفح عن تابعه المجرم شوكت العنتيل.

- فهمت، ولما رفضت يريد أن يوقع بيني وبينك وهذا مستحيل.

- اسمع يا عادل، أنت أخي وسأكون صريحة معك وأقولها لك قولًا واحدًا: غلطة عمري كله هي زواجي بعاصم، هذه الغلطة عقدتني وجعلتني أكره صنف الرجال، إلى أن جاء حاتم وتعاملت معه بتحفظ وتحفز وحذر، حتى ثبت لي أنه مختلف وأنه رجل محترم ولديه من النزاهة والشهامة ما جعلني أراه نموذجًا للرجل الذي كنت أتمناه وأحلم به، لكنني أحترم خصوصياته وأدرك أنه متزوج ويحب زوجته، فلم أسمح لنفسي بأكثر من الصداقة وهو نفسه يحترم ذلك ويعاملني كأخت له، وقد رأيت بنفسك كيف يعاملني.

- حبيبتي يارا، أثق تمامًا أنك تفكرين وتتصرفين بحكمة لكني خشيتُ أن تقعي في مشكلة أخرى بسبب حسن ظنك وطيبتك، فقد تقودنا المودة ومشاعر الإعجاب إلى الغوص في بحر الحب وتسحبنا أمواجه دون أن ننتبه.

- اطمئن يا عادل أختك بلغت سن الرشد منذ عشر سنوات وأكثر.

- حفظك الله وزادك عقلًا وحكمة.

- ولا تنسَ أنك أخي الأكبر، فمن لي غيرك أأتمنه على أسراري وأطلب منه النصيحة.

- لن أخذلك وسأكون عونًا لك في السراء والضراء.

- حتى لو تغيَّر موقفي واكتشفت يومًا أنني فعلًا أحب رجلًا متزوجًا؟

- أظن أن تجربتك مع عاصم ستجعلك كمن لسعتها الشوربة فنفخت في الزبادي.

- أكيد ولن أخطو خطوة قبل أن أنقي دربي من الأشواك.

- أحسنت واحرصي دائمًا على ذلك.

- أخذنا الكلا م ولم نشرب شيئًا.

- يكفيني أن أذهب وأنا سعيد بك ومطمئن عليك ومبتهج لحكمتك وحُسن تصرفك.

- هذه الزيارة لن تحسب يا عادل.

- سأعاود المجيء وإذا احتجت شيئًا اطلبيني.

(١٤)

لم يدرك حاتم أن همسًا وتساؤلات كثيرة، تدور حوله في نطاق العائلة، حتى فاجأته والدته بطرقها باب غرفته ذات ليلة، ودخلت تسأله بمودة تغلف نبرة القلق:

- طمئني يا حاتم يا ولدي، أوقع خلاف بينك وبين زوجتك؟

- لا يا ماما، أنا ونجوى كالسمن على العسل.

- إذن إلى متى تفترقان هكذا؟ أنت هنا وهي والطفلة في أمريكا؟

- جئت على أمل أن أجهز بيتا ثم تلحق بي نجوى وابنتنا.

- وقد عاينت واخترت أكثر من شقة في عمارات فخمة بأرقى الشوارع هنا!

- نعم، لكن القرار له تداعيات أهم وأخطر من مكان السكن.

- المهم أن يجتمع شمل الأسرة في أي مكان تختاره أنت وهي.

- يبدو أنني تعجلت وقست الأمور بمقياس العاطفة وحدها.

- ماذا تقصد يا ولدي؟

- في الغربة الإنسان تغلبه العاطفة ويدفعه الشوق لبلده وأسرته لخيارات يكتشف حال تنفيذها أنها صعبة، ولها تكلفة باهظة.

- ألم تكن أنت والدكتورة نجوى متفقين على المجيء إلى هنا؟

- اختلاطي بالأوربيين والأمريكان لم يغيرني كثيرًا أما نجوى فولادتها بأمريكا، نشأت وترعرعت هناك فتعودت أن تفكر مثلهم فتجنب العاطفة حينما تتخذ قرارًا مصيريًّا.

- وهل يُرضي ربنا تجميد زواجكما هكذا ومعاناتك وأنت شاب وتحتاج زوجة بجانبك.

- القرار ليس سهلًا يا ماما، فزوجتي طبيبة مرموقة ولديها طموح أن تحقق ذاتها بالتفوق العلمي وكنت أظنها تستطيع مواصلة أبحاثها وهي هنا ثم تسافر للمناقشة وتسجيل أبحاثها وترجع ولكن التجربة أظهرت صعوبة تحقيق ذلك.

- إذن دعها مشغولة بدراستها وتزوج من تخدمك وترعاك هنا والشرع يبيح لك..

- لا يا ماما، زوجتي امرأة متميزة ولن أتخلى عنها.

- يا حبيبي، لا تتركها ولكن الشرع يعطيك الحق في الزواج والعمر يمضي ويتسرب منك فخذ حظك من الدنيا، والبلد مليئة بالبنات الجميلات اللائي يملأن الحياة بهجة، فتزوج ومن وقت لآخر سافر لتطمئن على ابنتك وأمها.

- نجوى ستأتي عندما تحقق طموحها العلمي، اطمئني.

- هذا شأنك يا ولدي واعذرني، فأنا أمك وأحب أن أراك سعيدًا.

- الحمد لله والقادم خير بإذن الله.

لم ينجح في تبديد غيمة القلق في قلب أمه، فنزلت وهي تدعو أن يوفقه الله للخير، لكنها دون أن تدري أثارت في نفسه عاصفة من الأسئلة الحائرة، فزوجته منساقة وراء طموحها، وغير مكترثة بمعاناته، فهل تراهن على حبه لها، أم تعميها الأنانية عن التفكير في حقوقه كونه زوجًا، يحتاج زوجة تعينه على مشاق الحياة، وتبادله عاطفة إنسانية، تتفاعل وتفور داخله، لقد حاول إقناعها بالمجيء، وأغراها بشتي السبل، لكنها تماطل وتراوغ، وأخيرًا حاولت إقناعه بالبقاء في عمله لنهاية السنة المالية ثم يقدم استقالته ويرجع للعمل في أمريكا، إنها ليست متحمسة للاندماج مرة أخرى في المجتمع الشرقي بإيقاعه البطيء، وعاداته البالية، وأفكار أهله غير المتوائمة مع متطلبات العصر، حاول أن يكون صادقًا مع نفسه، فكر فيما قالته أمه، صارح نفسه بأنه فعلا يحب زميلته يارا، فماذا يمنعه من الزواج بها؟ هل ستطالبه بتطليق زوجته الأمريكية أولا؟ أم ستقبل لأنها ستكون الأقوى؟ إنها سيدة

رائعة وقادرة على إسعاده وقد تساعده على تحقيق أمله، واستمالة ابنته لقبول الحياة مع أبيها في المجتمع الشرقي، أشرقت صورة يارا في خياله، قام إلى الكمبيوتر ليتواصل معها على الفيسبوك، وعلى صفحتها تأمل صورتها، تبتسم بثقة كأنها تسخر من صعوبات الحياة، تحدث إليها كأنها تسمعه:

- كم أنت رائعة!

قرأ ما تكتبه على صفحتها من حكم وأقوال مأثورة، أعجبته كل اختياراتها، فجأة انتبه إلى أن عيد ميلادها بعد غد، لمعت في ذهنه فكرة، قام فبدل ملابسه وخرج، توقف بسيارته أمام مركز تجاري ضخم، بحث في كل محلات الهدايا، لفتت نظره فاترينة عرض محل جواهر، وقف أمامها وبرقت الفكرة في ذهنه فسأل نفسه:

- لماذا لا أختصر الوقت وأضرب عصفورين بحجر؟ فمنها هدية عيد ميلاد ومنها هدية قيمة تساعدني على مفاتحتها بموضوع الخطوبة، ولِمَ لا؟

دخل المحل وأشار إلى خاتم بفص من الألماس، بريقه يخطف البصر، أحضره البائع فتناوله وتأمله بإعجاب وسأل عن ثمنه، فكر لحظة ثم سأل البائع:

- حقيقة الخاتم أعجبني جدًّا وأريد أن أجعله مفاجأة لها، لكن..

- إن كنت تراه غالي الثمن فعند الدفع سأفاجئك بخصم مناسب.

- المشكلة أنني لا أعرف مقاس إصبعها.

- ليست مشكلة فيمكنني تضييقه وتوسعته حسب الطلب وإن أرادت تبديله فلا مانع.

- هكذا أشتريه وأنا مطمئن.

عاد إلى بيته، صعد لغرفته وبدل ملابسه، تمدد في السرير، تناول الكيس الملون، أخرج علبة صغيرة مغلفة بالقطيفة الحمراء، فتحها وتأمل الخاتم الماسي وبريق فصه يشع خيوطًا حادة بلون قوس قزح، تخيل يارا عندما تراه وحينما تضعه في إصبعها وكيف سيكون شكله بيدها، ملأته مشاعر البهجة، فابتسم وقال في نفسه:

- ستفرح به.. أكيد سيعجبها.. يارا سيدة متميزة وتستحق أكثر من هذا.

تحول حاتم إلى ذلك الطفل الصغير الذي كان يفرح بملابس العيد، ولا ينام إلا وهي إلى جواره في السرير، هكذا كان يفعل وهو صغير وهكذا أعاده عشق يارا لتلك العادة، فنام وعلبة الخاتم بجواره، نام وهو يتخيل وجه يارا المشرق بالفرحة وصوتها الحنون وهي تشكره، وتتمنى له السعادة كما يحاول أن يسعدها، أغلق عينيه على ابتسامتها المانحة لمشاعر البهجة والتفاؤل، استسلم لنوم عميق، وفي المنام رآها تزف إليه وسط فرحة الأهل والأصدقاء، والحب يحملهما على أجنحة السعادة وهما يرفلان بثوب الزفاف، وتتهادى خطواتهما ثم يلوحان

للجميع، ويتعانقان فيقبلها ويملأ صدره بأريج أنفاسها العطرة، وتهمس له في دلال:

- ألن تحملني بين ذراعيك؟

فيُلبي بحماسة وشغفٍ ويحملها وهي ترنو إليه بنظرات تفيض عشقًا وهيامًا، تتأمل غرفة النوم بفرح، تلتفت إليه بنظرة خجل، يسألها بحنو:

- هل أخرج حتى تبدلي ملابسك؟

- إم م م..

قالتها وهي تهز رأسها بإيماءة الموافقة والرضا، خرج وأغلق الباب، وقف ينتظر بشوق وشغفٍ طاغٍ، الدقائق تمر كأنها ساعات، عاودته مشاكسات الطفولة، انحنى وحاول استراق النظر والتلصص عليها من ثقب الباب، ولم تكن في مرمى بصره، لقد احتاطت ووقفت في ركن قصي، كأنها توقعت منه حركات المشاكسة، فرك أصابعه في توتر، وسألها من وراء الباب:

- هل أدخل؟

- لا، بعد.. بعد.

انتظر لحظات وسألها:

- أدخل؟

- إياك.

تململ شوقًا وعاود السؤال:

- أتسمح لي أميرتي بالدخول؟

- لا لم أنته بعد.

- حبيبتي ماذا تفعلين؟!

- للحب طقوس.

- لكن محبوبك متيم ولهان يتلظى بنار العشق ولوعة الحرمان.

- لا تكن عجولًا.. اصبر يا حبيبي.

- الله، أسمع نداء يا حبيبي هذا فتغمرني أحلى مشاعر البهجة.

- وكلما أخذت بنصيحتي ستسعد أكثر.

- سأنتظر.

مرت لحظات كأنها الدهر كله وهو يتحرق شوقًا إليها، فرك أصابعه كطفل يتعجل شيئًا من أمه، طرق الباب بطرف إصبعه وناداها:

- يارا.. هل أدخل؟

- عُد من واحد لعشرة وسأفتح لك الباب.

- واحد، خمسة، عشرة..

فتحت الباب قليلًا وهي مختبئة وراءه حتى لا يراها وناولته بيجامة النوم البيضاء التي اختارتها له:

- بيجامتك ارتدِها بالغرفة الأخرى وتعالَ.

تناول البيجامة وجرى إلى غرفة الصالون فخلع بذلة الفرح بسرعة وارتدى البيجامة بشغفٍ ثم اندفع إلى غرفة النوم، دخل فرآها تتمدد على السرير بقميص نوم وردي شفاف وتبدو كأروع ما تكون عليه حوريات البحر أو حوريات الجنة، تلك المخلوقات التي لم يَرَها أحد وما وصلنا من أوصافها يلهب خيال البشر، وقف يتأملها بانبهار شديد، استغربت ما جرى له فسألته:

- ماذا بك؟

- يارا، أنت مبهرة، أعرف أنك جميلة، لكن لم يخطر بخيالي أنك فاتنة ورائعة بهذا الشكل.

- أنت رائع يا حبيبي وأراك أعظم رجل في الوجود وليتنى أهبك ما تستحقه من بهجة.

- أنت دنيتي الجديدة السعيدة، أنت ملاك الحب والبهجة وراحة البال، مف.. مف. الله.

- هل أعجبك عطري؟

تذكر أنه لم يتعطر مثلها، فالتفت وتناول زجاجة عطره ورش منها على البيجامة وفي كفه، ثم فرك يديه ولمس وجهه، ومال عليها فابتسمت

وقبلها في شفتيها وظل يرسم بشفتيه ورودًا على خديها وعنقها وداعب رمانتي صدرها الناهد ولم يدر وهو يمص الحلمتين إلى أي مدى غاص في أعماقها، متمنيًا من فرط سعادته ألا يخرج من سحرها أبدًا.. لكنه خرج، استفاق من نومه على صوت آذان الفجر، تقلب في السرير كأنه يبحث عمن كانت معه في الحلم منذ لحظات، أشرق خياله بنور وجه يارا الوضاء فدعا الله أن يجعلها من نصيبه، قام فحرك عضلات جسمه يمنة ويسرة، دخل ليتوضأ، وقف يصلي بخشوع.

ظل طوال النهار يترقب أي فرصة ليخرج علبة الخاتم من جيبه ويقدمها ليارا، لكن زخم العمل وغزارته، لم تسمح له أن ينفرد بها، فكلما اتصلت لاستشارته والحصول على موافقته في بعض المعاملات، يدرك أنها مشغولة بإنجاز عمل مهم لأحد رجال الأعمال، أو توضيح أمر التبس على أحد الموظفين، فيتحرج من تعطيلها لأمر شخصي لا يدري كيف تستقبله ولا ماذا سيكون رد فعلها، أتتجاوب معه وتقدر سمو مشاعره واكتواء قلبه بلهيب حبها؟ أم تصده وتسخر من عواطفه، وتضعه في خانة الرجال المزواجين زائغي العيون على النساء؟ ظل يفكر في حيرة وقلق، ولا يدري ما ينبغي له أن يفعله ليرضيها ويضمن تجاوبها ومبادلته مشاعر الحب الصادق النبيل، أخيرًا دخلت يارا مكتبه على عجل وهي تحمل بعض الملفات، فرد تحيتها وطلب من السكرتيرة ألا تدخل إليه أحدًا حتى يُنهي عمله مع السيدة يارا، التي سارعت بتقديم الملفات إليه قائلة:

حاتم بك، هذه المعاملات تحتاج إلى..

- دعك من كل معاملات البنك الآن واجلسي فالتقطي أنفاسك وتخففي من وطأة العمل جلست يارا قبالته، ترمقه بنظرة توجس واستغراب وتتأمله بترقب وتحفز، فأخرج علبة القديفة الحمراء من جيبه، فتحها فسطع بريق الخاتم بفصه الماسي المتلألئ وقدمه لها قائلًا:

- يارا.. عيد ميلاد سعيد وعقبال مائة سنة.

تأملت الخاتم بدهشة وهزت رأسها في تردد، فحثها بقوله:

- تفضلي.. هذا هدية عيد ميلادك.

- أستاذ حاتم، معذرة، هذا الخاتم الماسي لا يُقدَّم إلا لزوجة أوعشيقة وأنا لا هذه ولا تلك.

الهدية تقدم بقدر ما نحمله من مشاعر وأنت كنتِ مصدرًا مهمًّا للطاقة الإيجابية والبهجة لي منذ وصلت إلى هنا.. فدعيني أعبر عن شعوري نحوك.

- أشكرك على هذا الشعور النبيل ولكني لا أستطيع قبول هذا الخاتم الغالي.

- يارا.. النبي قبل الهدية وأوصانا: تهادوا تحابوا.

- لو كان مجرد هدية رمزية لقبلته.

- واضح أنك لا تعرفين حقيقة شعوري نحوك وهذا الخاتم هو دليل حبي لك.

- يعلم الله أنني أعتبرك أخي ولك معزة وتقدير أخي عادل.

- وإن قلت لك: إنني أطمع فيما هو أكثر من ذلك؟

- لا أفهم ماذا تقصد.

- يارا.. حان الوقت لأعترف لك بأنني أحبك وأتمنى لو تقبلينني زوجًا لك وأبًا لوائل.

- والدكتورة نجوى؟

- إنها عنيدة وترفض الحياة هنا والشرع يعطيني الحق في الزواج حتى أعصم نفسي ولا أفعل ما يغضب الله.

- لكن، ماذا سيكون موقف الدكتورة نجوى وابنتك؟

- ستبقى زوجتي وأم ابنتي وسأزورهما كلما تيسر لي ذلك.

- هل اتفقتما على ذلك؟

- تربية نجوى تجعلها تفكر بأسلوب براجماتي أناني هدفه الأوحد المصلحة الشخصية، لذلك رفضت المجيء وتطالبني بالعودة وتقديم استقالتي.

- ألم تتفقا على كل هذه التفاصيل قبل مجيئك إلى هنا؟

- اتفقنا على كل شيء ولكن طموحها العلمي يَشدُّها للبقاء هناك.

- ربما لديها مبرراتها.

- وأنا، أليس من حقي كوني رجلًا أن أستمتع بالحياة مع زوجة تحرص على راحتي وتعصمني من فتنة النساء؟

أستاذ حاتم أنت رجل رائع وألف امرأة تتمنى وتحلم بأن ترتبط بك، لكني مهمومة بحالة ابني وائل كما تعرف ولا..

يارا، أنا لا أطلب منك التسرع وإعطائي ردًّا الآن، خذي وقتك وفكري بالأمر من الوجوه كافة وأولها ابنك وائل، فكلما كبر سيحتاج أبًا في حياته ليقتدي به.

- أتدري أن طليقي ينتظر زواجي ليأخذ مني وائل؟

- أشك في أنه جاد بهذا الأمر.

- لقد هددني.

- نعم، يهددك ويبتزك ولن يفعل أكثر من ذلك، لأنه لن يتحمل نفقاته ولا جهد رعايته، فاطمئني ولا تديري بالك لما يقوله.

كيف وهو يتصرف برعونة ويساومني لكي أتنازل عن قضية خطف ابني.

لا يساوم إلا الضعيف.. أما أنت فموقفك قوي، فانظري للمستقبل ولا تلتفتي وراءك، وما دام الله قد وهبك هذه القدرة على منح البهجة والسعادة فلا تبخلي بها على نفسك ولا على عاشق ولهان متيم بحبك.

غشيتها حمرة الخجل وقالت باستحياء:

- يسعدني جدًّا أن يحبني رجل محترم مثلك ولن أجد في الدنيا كلها من أأتمنه على نفسي وحياتي وابني إلا أنت يا أستاذ حاتم.

- قولي حاتم فأنا أحب أن أسمعها منك بحميمية ودون تكليف.

- والله يا حاتم أحبك وأحلم بك زوجًا يحتويني بعطفه وحنانه ورجولته وشهامته.

- ما دام الأمر كذلك فلماذا لا نتزوج ونسعد بعضنا البعض، فالعمر قصير ولن نعيش إلا مرة واحدة، فلنعشها بحب وسعادة ونفعل ما يُرضي الله ورسوله؟

لقد اعترفتُ لك بأنني أحبك مثلما تحبني، لكني أرجوك ألا تتعجل أمر زواجنا ودعني أفكر وأختار الوقت المناسب.

- أيامي القادمة وديعة بين يديك، أأتمنك عليها وأثق أنك تقدرين مشاعري الصادقة.

- أكيد، أكيد.

- إذن حان الوقت لتلبسي هذا الخاتم، أحب أن أراه في إصبعك.

فتح العلبة الحمراء، لمع الخاتم ببريق تشع منه ألوان الطيف، مدت يارا إصبعها فوضع حاتم فيه الخاتم ولمس إصبعها، سرت قشعريرة لذيذة في جسمه وتلاقت نظراتهما، ذاب عشقًا وهيامًا في صفاء عينيها وابتسامتها المبهجة.

(١٥)

خرجت يارا من مكتبه كالفراشة، تشعر كأنها تطير من الفرحة، فحلمها يتحقق وها هو الفارس الذي تمنته وحلمت به، يبوح لها بمكنون قلبه ويحيطها بمشاعر فياضة من الحب الصادق، فتنزل كلماته الرقيقة ونظراته الحانية ولمساته البريئة وصوته الدافئ كزخات عطر جميل يروي مسام عواطفها العطشى، يتسرب ويتسلل بلطف إلى أعماق ذاتها، وينشر فيها إحساسًا رائعًا بالبهجة والتفاؤل والسعادة، شعرت بأنها ستبدأ حياتها من جديد، وتعيش الحياة بالصورة التي تمنتها وحلمت بها، خامرها إحساس قوي بأنها رجعت إلى عشر سنين مضت من عمرها ولكنها اليوم حرة لا تُقيدها رغبة أب ولا إلحاح أم ولا تحكمات أخ ولا مراعاة لعصبيات الأهل والعشيرة أو مجاملات الآخرين على حساب الذات، كل هذا دفعت ثمنه من سعادتها وسنوات عمرها ولن تتحمل ثمن أي مظاهر اجتماعية حمقاء بعد اليوم، لقد

كسرت الطوق ونالت حريتها ولا يجب أن تضعف أو يصيبها تردد أو خجل، فهي الآن مالكة أمرها وإرادتها نافذة بعد قضاء الله عز وجل...

أما حاتم فأراد أن يمسك اللحظة الحاضرة، حاول أن يوقف الزمن ويستحلب لذة طعم الحب الحقيقي وروعته، حب النضج والتوهج الذهني والعاطفي، بمجرد خروج يارا من مكتبه، طلب من السكرتيرة ألا تدخل أحدًا لانشغاله، واسترخى في مقعده رافعًا ساقيه ومستندًا بقدميه على حافة مكتبه، تحول سقف الغرفة إلى شاشة عرض، استرجع صوت يارا الناعم الحنون، وجهها المشرق وهي تبوح له بحبها وحمرة الخجل تزيدها روعة وجمالًا وتضفي على نظراتها نصف الغافية بريقًا مثيرًا آخاذًا كفوهة بركان في ظلمة ليل بهيم، استشعر صدق حديثها ودفء مشاعرها نحوه، تمنى لو أنه أغمض عينيه وفتحهما ليجد نفسه مع يارا في عش الزوجية، وقبل أن يستسلم لحلمه الوردي، انتبه لجرس الموبايل وكانت هي فسألته بدهشة:

- حاتم هل غفوت؟! أطلبك منذ فترة ولا ترد!

- إن أردت الصدق فأنا حقًّا أريد أن أغفو على صدرك الحنون كطفل تهدهده أمه.

- أووه، حاتم، أرجوك لا تخجلني منك.

- ليس في الحب ما يخجل يا مليكتي الرائعة.

- حاتم، سأحتفل بعيد ميلادي وأنت مدعو أنت وأخي عادل للعشاء معي الليلة.

- دعينى أحجز لك مائدة في فندق..

- لا، لا أريد أن أعطي فرصة للمتطفلين والقيل والقال، سنحتفل في بيتي.

- لك هذا ويشرفني ويسعدني أن أكون معك حتى لو كان بيننا عزول اسمه عادل.

- تعرف أن طليقي يترصدني ولا أريد أن أعطيه فرصة.

- لن يخلصك من هذا القلق إلا أن توافقي على طلبي، فنتزوج لتسعدي وتسعديني.

- حبيبي لا تكن عجولًا.

- الله ما أحلى وأروع كلمة حبيبي من شفتيك، قوليها مرة أخرى..

- يبدو أن أحدًا سيدخل مكتبي، هيا، مع السلامة الآن..

في المساء ساعدتها طمطم في تجهيز كل لوازم الحفل وطلبت عشاء فاخرًا من أحد المطاعم الشهيرة، كانت تسابق الزمن لتضفي على بيتها لمسات جمالية بالورود والأضواء الملونة والموسيقى الهادئة والعطور الفواحة، لمحت اقتراب مؤشر الساعة من الثامنة، تمنت أن يلتزم أخوها عادل بالموعد، لكنه تأخر، اتصلت لتذكره وتستعجله، رد بصوت هامس:

- يارا.. معذرة، قد أتأخر عليك قليلًا..

- معقولة يا عادل؟ أتتركني وحدي مع رجل غريب؟!

- حبيبتي، ابني توعك فجأة وأنا معه الآن عند الطبيب، بمجرد أن يفحصه ويكتب العلاج سأتركه لأمه وأتوجه إليك.

- موقفي سخيف، سأبدو كأني دعوت الرجل لبيتي.

- حاتم بك رجل محترم وسيقدر الموقف وأعدك ألا أتأخر.

- أرجوك يا عادل..

- اطمئني.

لاحظت طمطم قلقها وحيرتها وهي تتحرك جيئة وذهابًا في بهو الشقة، تفرك أصابعها وتكرر النظر للساعة ثم تهز يدها بعصبية، حاولت أن تطمئنها لكن جرس الباب أربكها معًا، أمسكت يارا رأسها بكفيها وركزت تفكيرها لبرهة ثم أشارت لطمطم محذرة:

- ابقي قريبة مني ولا تدخلي لوائل الآن.

تأملت مكياجها وتسريحة شعرها في المرآة ثم توجهت للباب وعلى شفتيها ابتسامة، حاولت ألا تجعلها باهتة، فتحت الباب فحياها حاتم وصافحها فبرق الخاتم في إصبعها، تناولت منه بوكيه الورد، ودعته للدخول في الصالون، تلفت وسألها:

- أين الأستاذ عادل؟

- في الطريق.. ماذا تحب أن تشرب؟

- بما أنه احتفال بعيد ميلادك فليكن كل شيء الليلة على ذوقك أنت.

- أتحب القهوة البيضاء بالهيل (الحبهان)؟

- أمي تعدها لي باستمرار.

- إذن تذوقها الآن من يدي.

توجهت إلى المطبخ لتعد القهوة، تعجبت مما جرى لها، ابتسمت وسألت نفسها:

- ما هذا الهبل الذي أصابني؟ لماذا ارتبكت لوصول حاتم قبل أن يأتي أخي، أنا امرأة راشدة ولن أفعل أي تصرف خاطئ، فلماذا انزعجتُ لوجودي معه وحدنا؟

ثم إننا لسنا وحدنا، فالله معنا ومُطَّلع علينا، كما أن طمطم وابني وائل معنا..وائل! آه يا وجع قلبي وعمري كله! متى تُشفى وتصير طفلًا عاديًّا ثم شابًّا يخاف عليَّ وأحتمي به.. يا رب، أنت أعلم بحالي، اكتب له الشفاء يا كريم.

حملت صينية عليها دلة القهوة المغلفة بطبقة من الخزف المزخرف وحولها عدة فناجين صغيرة منقوشة بزخارف دقيقة، وضعتها على مائدة صغيرة، صبت أول فنجان فتصاعدت أبخرة القهوة مخلوطة برائحة

الحبهان، وضعته في طبق صغير وقدمته لحاتم، الذي استنشق رائحة القهوة بإعجاب:

- الله، سلمت يداك.

- لن تكون بجودة ما تصنعها والدتك، فأرجو أن تعجبك.

ارتشف من طرف الفنجان رشفة صغيرة وقال:

- ممتازة، أحسنتِ.

صبت لنفسها فنجانً وأخذا يتسامران وهما يشربان القهوة، تحدثا عن حالة وائل والأمل في نجاح علاجه بأمريكا، إنها تنتظر الحصول على التأشيرة بفارغ الصبر، فجأة سألها حاتم:

- ألن نتزوج قبل سفرك؟

- لن أكون صافية الذهن ولن أستشعر حلاوة الزواج ممن أحب وأنا بذات الوقت مشغولة البال على ابني وائل.

حبيبتي، زواجنا سيرفع معنوياتك ويسعدك والسعادة تقويك على تحمل أعباء وائل.

لا أريد أن أقصر في حق من حقوقك وكلما تحسنت صحة وائل سأتفرغ لك وأجتهد في راحتك وإشاعة جو البهجة في حياتنا معًا.

- على أي حال سأطلب يدك من أخيك الأستاذ عادل الليلة.

- دعني أفاتح عادل وأخبره أولًا حتى لا يظن أنني أرتب معك كل شيء ثم أضعه أمام الأمر الواقع.

- إنه أخوك وأنت أدري بطريقة تفكيره.

- هذه الأمور يصحبها شيء من الحساسية نحن في غنى عنها.

- كما تريدين، المهم أن تكوني مقتنعة بفكرة زواجنا وتدركي حبي العظيم لك.

- أنت إنسان رائع وفيك كل الصفات التي أتمناها فيمن أرتبط به.

- لا يعجبني تحفظك وحذرك من إظهار عواطفك نحوي، فهذا حياء زائد، وأنا كوني رجلًا عاشقًا لجمالك وشخصيتك الرائعة، يطربني ويبهجني ويجعلني أطير من فرط السعادة أن أسمعك تبادليني مشاعري الجياشة نحوك وتقولينها بلا خجل، قوليها صراحة، قولي أحبك، فأنا أتوق وأتحرق شوقًا لسماعها تنساب من شفتيك كغدير عذب يروي ظمأ أيامي.

- ربما لا أستطيع أن أجاريك في كلامك الحلو وتعبيرك عن مشاعرك ببراعة.

- كلامي معك يأتيني عفو الخاطر فأبوح لك بمكنون نفسي بعفوية وصدق.

- آه لو تدري كم حلمت بك وتمنيتك زوجًا لي ودعوت الله أن يجمعني بك.

- متى حدث هذا؟

- التفاصيل ليست مهمة الآن، المهم أن الله لم يخذلني وجعلك تحبني كما أحببتك.

- ياه، أخيرًا سمعتها قوليها بجرأة ولا تخجلي، فالمشاعر النبيلة تستحق أن نعلنها ونبوح بها بعزة وافتخار.

المشاعر النبيلة تصل لقلوب المحبين عبر نظرات الوجد والهيام ومن خلال عواطف سامية ترتقي بسلوكهم.

- تتحدثين بحكمة ومنطق سليم ولكن..

قطعت حديثه المربية طمطم، أقبلت متوترة، مكفهرة الوجه وقالت بارتباك:

- عفوًا سيدتي، وائل يريدك.

- حاتم، معذرة، لحظة واحدة..

- خذي راحتك.

كان الطفل متشنجًا في سريره، يعاني آلام نوبة صرع، رأته يارا فاعتصر قلبها الألم، مالت عليه تهدئ حركة أطرافه المرتعشة وسألت طمطم:

- ألم تُعطيه الدواء؟

- جهزت الحقنة لكن حركته أعاقتني، أمسكيه حتى أحقنه.

حاولت يارا السيطرة على حركته، وأغمضت عينيها حينما غرزت طمطم سن الابرة في جسمه وضغطت لينساب الدواء في أوردته، ثم أخرجتها ومسحت مكانها بقطنة مبللة بسائل معقم، تراجعت مرددة:

- بالشفاء.

- ما زال متشنجًا يا طمطم؟

- اطمئني سيدتي، بعد قليل ترتخي عضلاته ويهدأ.

- حبيبي، إنه يتعذب، وجسمه مليء بذرات حمراء مكان وخزه بالحقن.

- ليتهم يصنعون علاجًا أيسر من هذه الحقن!

- إنني أتعذب معه.. يا رب اشفه، يا رب ارفع عنه وعني هذا العذاب.

- ها هو يهدأ وترتخي عضلاته، بعد قليل سيغفو وينام.

- راقبيه حتى ينام.

خرجت، ورن جرس الباب، كان أخوها عادل، اعتذر لها عن تأخره، فسألته عن ابنه، تنهد وحمد الله متمنيًا أن يفيده العلاج وتنزل حرارة جسمه، أخبرته بوجود حاتم فدخل مرحبًا بحفاوة، تركتهما يارا

وقد انشغلا في حديث عن البورصة، ودخلت لتضع لمساتها على المائدة التي أوشكت طمطم على الانتهاء من إعدادها، أخيرًا تراجعت يارا بضع خطوات للوراء وتأملت منظر المائدة كفنان سعيد باكتمال رسم لوحته، ابتسمت بارتياح وتوجهت إلى الصالون فدعتهما لتناول العشاء.

أكلوا باستمتاع وهم يتجاذبون أطراف الحديث، يضحكون ويتسامرون بحميمية وانسجام وبعدها أحضرت طمطم مائدة صغيرة متحركة عليها تورتة عيد الميلاد، وفي أثناء دخولها انبعث من تليفونها المحمول موسيقى عيد الميلاد في محاولة منها لإضفاء البهجة والتعبير عن حبها ليارا، فحياها عادل وقام يصفق لدخول تورتة عيد الميلاد وتلفت يبحث عن يارا فرآها مقبلة وقد بدلت ملابسها وارتدت فستانًا مبهجًا بألوانه الزاهية، تبدو فيه كأميرة تتهادى بخطى واثقة وابتسامتها الجميلة تضيء وجهها، قاموا يهنئونها والتفوا حول مائدة التورتة، يصفقون ويرددون معًا أغنية عيد الميلاد، وكانت نظرات العشق والوله في عيني حاتم تشي بحبه ليارا التي حاولت أن تداري حبها له، لكن ملامحها ونظراتها ونبرات صوتها، كانت تنبئ عن ميلاد عاطفة حب، ولم يكن صعبًا على رجل مخضرم كأخيها عادل أن يدرك ويستوعب كل هذا برضا وارتياح لأنه يكن لها كل تقدير ويتمنى أن يرزقها الله بالرجل الشهم الذي يستحقها ويقدرها فيعوضها عن سنوات المعاناة، ويساعدها على تحمل مسئولية طفلها المعوق، أكلوا وتسامروا وقضوا وقتًا سعيدًا، وهَمَّ حاتم بالانصراف، فشكرته يارا وصحبه عادل وخرجا معًا.

(١٦)

استيقظت في الصباح، يملؤها شعور بالبهجة، تذكرت ليلة البارحة، ابتسمت بتفاؤل وارتياح، قامت من السرير، فردت جسمها الممشوق، تأملت نفسها في المرآة، بشرتها الناعمة، وجهها النضر الصبوح كوردة تفتحت للندى واستقبلت نور الشروق، فزهت وتألقت، حمدت الله على تمتعها بهذا الجمال، ساورها شعور بالثقة والفخر، زادها التفاؤل جمالًا وتألقًا، خطت بنعومة نحو الباب، سمعت نغمة الرسائل من هاتفها، رجعت وتناولته، قرأت رسالة من السفارة الأمريكية، تبلغها بالموافقة على منحها تأشيرة دخول الولايات المتحدة الأمريكية ومعها مرافقان: طفلها وممرضة، صرخت من الفرحة، قالت لنفسها:

- يا له من صباح جميل محمل بالمسرات والبهجة والتفاؤل! أحمدك يا رب.

لم يهمها أن الوقت لا يزال مبكرًا، طلبت حاتم وبمجرد أن سمعت قوله:

- آلو.

- أحلى آلو، أجمل آلو، أروع صباح طلعت فيه الشمس.

- حبيبتي يارا.. صباح الخير.

- صباح الفل، صباح التفاؤل، تلقيت الآن رسالة من السفارة الأمريكية.

- مبارك وإن شاء الله ستعودين بابنك يمشي على رجليه.

- يا رب، يا رب.

- إذن توجهي إلى السفارة لإنهاء الإجراءات وإن احتجت شيئًا اتصلي بي.

- كل هذا بسببك أنت أستاذ حاتم، أنت إنسان رائع، لا أعرف كيف أشكرك.

- بل اشكرى الله واحمديه على نعمه وكرمه، فما التوفيق إلا من عند الله.

- الحمد لله، الحمد لله...

حملت وثائق السفر والصور الشخصية لها ومرافقيها والتقارير الطبية وتوجهت إلى السفارة لإنهاء الإجراءات واستلام تأشيرات

الدخول، ثم توجهت إلى مكتب شركة الطيران وحجزت على طائرة الخامسة مساء اليوم نفسه، انطلقت وهي تكاد تطير من الفرحة، فدخلت البنك ودلفت مباشرة إلى مكتب حاتم، وقفت أمامه عاجزة عن الكلام، فقط تبتسم وفي عينيها بريق حب يكفي كل عشاق الدنيا، ودون أن تنطق أدرك حاتم كل معاني التقدير التي تحملها له، فمد يده ليصافحها بنبل أميرعاشق:

- اذهبي في رعاية الله، وستعودين مجبورة الخاطر لتجديني في انتظارك.

- أنت رائع، دعني أقبلك.

قبلته في خديه وارتمت على صدره باكية، ربت على كتفها بحنو، رفعت وجهها فمسح دموعها وطبع قبلة على جبينها قائلًا:

- لو أدركت أن السفر سيأتي سريعًا هكذا لتقدمت لخطبتك مبكرًا.

- تأكد أنني لم ولن أحب رجلًا غيرك، ادعُ لي أن يكلل الله مهمتي بالنجاح فأرجع بوائل وقد تعافى وصار يمشي على رجليه.

- بإذن الله سترجعين مجبورة الخاطر، سعيدة بشفاء وائل.

- وحينئذ سأتزوجك وكلي ثقة أني سأسعدك.

- أعتبر هذا وعدًا منك؟

- نعم.

كتبت طلب الحصول على إجازة ثم ودعته وطافت بزملائها تودعهم وتطلب منهم ألا ينسوها في دعائهم، خرجت وهي تنظر في ساعتها، أدركت أنها تسابق الزمن لكي تلحق بموعد الطائرة، توقفت عند مطعم شهير، اشترت غداء لها وصديقتها طمطم، قادت سيارتها متجهة مباشرة إلى بيتها، وضعت علبة الطعام على المائدة، لوحت بوثائق السفر وهي ترقص بفرح، وطمطم تجاريها وتشاركها الغناء والرقص بمرح، فجأة أمسكت طمطم من يدها قائلة:

طمطم، حبيبتي ليس لدينا وقت، سأكلم أخي عادل لدقائق وخلالها تجهزين المائدة، ها هي علبة الطعام.

أبلغت عادل فشاركها الفرحة وأكد أنه سيأتي لتوصيلها للمطار، التهمت الطعام بشهية كأنها في سباق مع طمطم، وكلما وجدتها تُبطئ المضغ، تحثُّها على الأكل وكانت مستمرة في إلقاء نظرات خاطفة على ساعتها، ثم دعتها للإسراع بتجهيز حقيبة سفرها وارتداء ملابس الخروج، لم يتأخر عادل، وفي الموعد كانوا في المطار حيث فوجئت يارا بوصول حاتم لتوديعها، كان يتلفت باحثًا عنها بين جموع المسافرين، وبمجرد أن لمحها، رفع يده ملوحًا واتجه إليها، حيَّاها وصافح عادل ثم أخرج ورقة من جيبه قائلًا:

- يارا، هذا تليفون الدكتورة نجوى، نسيت أن أعطيك إياه.

- شكرًا، أتعبتك معي..

- إن شاء الله ستهبط بك الطائرة في مطار نيويورك بعد تسع ساعات ومن المطار نفسه تركبين طائرتك الثانية المتجهة إلى ميامي التي تصلها بعد ساعتين وحينما تضعين قدميك على أرض مطار ميامي اتصلي بالدكتورة نجوى، فشقتنا قريبة من المطار وقبل أن تنهي إجراءات التأشيرة واستلام الحقائب ستكون نجوى بانتظارك في المطار.

- وهل الدكتورة نجوى ظروفها تسمح بذلك أم أنني...؟

- نجوى تعتبرك أختًا لها ولن تشعري معها بالغربة، كنت أتحدث معها منذ قليل وهي التي نبهتني إلى التليفون.

- لا أعرف كيف أشكركما، جزاكما الله عني كل خير.

- ألم نتفق أنني مثل عادل؟ هذا واجبي نحوك ولا شكر على واجب..قل لها يا عادل.

- بارك الله فيك، ونعم الأخ أنت يا حاتم بك.

قالها عادل فصافحتهما يارا مودعة، ودفعت مقعد وائل بينما تولت طمطم دفع حقائب السفر، واتجهتا نحو بوابة صالة المسافرين، لحظات وانتهت إجراءات المغادرة، فلوحت لهما من وراء الحاجز الزجاجي، ومشت تدفع مقعد ابنها وخلفهما طمطم، ودخلوا بوابة الصعود إلى الطائرة.

أطلت يارا من نافذة الطائرة، تتأمل البيوت والعمارات والأبراج السكنية والشوارع والسيارات وهي تصغر ويتضاءل حجمها، كلما ارتفعت الطائرة، وحلقت مرتفعة بمقدمتها في عنان السماء، وبعد لحظات غاصت المدينة كلها في غبشة ضبابية، واستحالت رؤيتها، والطائرة تزداد ارتفاعًا وتأخذ مسارها بين أكوام السحب قطنية اللون، التفتت إلى ابنها فوجدته يحملق إلى صور كارتونية على الشاشة التي أمامه، كانت طمطم قد شغلتها له ثم بحثت في الشاشة المقابلة لها، واختارت فيلمًا بوليسيًّا، أخذت تتابعه بشغف، مدت يارا يدها إلى سماعة الأذن، وضعتها على رأسها واختارت من الشاشة الخاصة بها برنامجًا للموسيقى الخفيفة، ساعدتها على الاسترخاء، كان عقلها متخمًا بالأفكار والأماني والأحلام، فهي تفكر في مستقبلها ومصير حبها الجارف لحاتم، وتتمنى أن ينجح الأطباء في علاج ابنها وتدعو الله أن يكتب له الشفاء، وتحلم في يقظتها أحلامًا زاهية بلون أزهار الربيع، فترى نفسها زوجة لرجل صادق يحتويها بدفء حبه وحنانه، وترى ابنها طفلًا سويًّا يجري ويلعب ويصيح ويمارس هواياته ويفرح ويغضب كما يفعل أقرانه، وترى نفسها تحمل بأخ أو أخت له من حبيبها حاتم، ومع نغمات الموسيقى وجلسة الاسترخاء، انشغلت يارا بمداعبة أحلامها كأنها ترعى أغنامًا أسطورية بين السحاب، وانتبهت على مضيفة الطائرة، تسألها عما تفضله من وجبات الطعام، ومضى الوقت بطيئًا ما بين سماع الموسيقى، وتناول طعام أو شراب أو استسلام لغفوة من النوم المتقطع، أو الذهاب مع وائل إلى حمام الطائرة، أو تصفح مجلة دعائية،

كانت رحلة طويلة لكنها تمضي على أجنحة الأمل، فتُطوى المسافات، وتدور ساعة الزمن، فيتبادل النهار والليل مواقعهما، وتتهيأ الطائرة للهبوط، ويتردد صوت قائد الطائرة، معلنًا الاستعداد للنزول في مطار نيويورك، فرحت يارا وبدأت تراجع مع طمطم ما ستقوم به كل منهما للاهتمام بوائل واستلام الحقائب وإنهاء تأشيرة الدخول، وبمجرد أن وطئت أقدامهما صالة الوصول، التزمت طمطم برعاية وائل، لتتحرك يارا بخفة لعرض جوازات السفر على موظف التأشيرات ثم استلام الحقائب، وعينها طوال الوقت على وائل وطمطم، أخيرًا أشارت لها ثم توجهوا إلى صالة أخرى لركوب الطائرة المتجهة إلى ميامي، كانت يارا تتحرك بهمة ونشاط، والتقطت أنفاسها وهي تسترخي على مقعد الطائرة الثانية، تذكرت ما قاله حاتم وهو يودعها بالمطار:

"نجوى تعتبرك أختًا لها ولن تشعري معها بالغربة".

كانت تحسُّ بشيء من القلق، وتخشى أن يكون حاتم قد بسط لها الأمورأكثر مما يجب، فتصدم بأن الدكتورة نجوى مثل الأجانب في جديتهم وبرود عواطفهم، فلا تمنحها الاهتمام المطلوب، خاصة وأنها فضلت عملها وطموحها العلمي عن اللحاق بزوجها ولم شمل الأسرة، انتابها التوتر مما قد تواجهه من صعوبات أو متاعب في الغربة، فكرت قليلًا واستجمعت كل طاقتها الإيجابية ثم قالت لنفسها:

- مهما يحدث فقد جئت ولا بد أن أنجز المهمة التي أُتيتُ من أجلها على خير وجه، والله الذي وفقني ويسر لي الوصول إلى هنا قادر

على تذليل كل الصعاب لكي يوفقني فيما أتيت من أجله ويُعيدني وقد أنعم على ابني بالشفاء.

شعرت بهزة وانتبهت إلى أن الطائرة تتأهب للهبوط، نظرت من نافذة الطائرة، فرأت أشعة الشمس تغطي بنورها الذهبي أعلى واجهات ناطحات السحاب الشاهقة وأسطحها، وسرعان ما تجاوزتها الطائرة ودارت وهي تهبط متجهة نحو مدرج مطار ميامي، لم يكن مزدحمًا كمطار نيويورك، وتم إنهاء الإجراءات بسهولة وخلال لحظات، نظرت إلى ساعة الحائط المعلقة بصالة الوصول، كانت تشير إلى الثامنة صباحًا بتوقيت مدينة ميامي، ترددت خشية ألا يكون هذا هو الوقت المناسب لاتصالها بالدكتورة نجوى، ثم تذكرت ما أخبرها به حاتم من أن زوجته نجوى هي التي طلبت منه أن يعطيها رقم التليفون لكي تتصل بها لحظة وصولها، نفضت عنها التردد، تلفتت فرأت أحد أجهزة التليفون العمومي معلقًا في أقصى القاعة، توجهت إليه وطلبت الدكتورة وهي تضع السماعة على أذنها وتنصت بترقب واهتمام، لم يرن الهاتف كثيرًا وفُتح الخط لتسمع صوتًا ناعمًا:

- Hello

- دكتور نجوى؟

حينئذ انطلق الصوت الناعم متحدثًا العربية بلهجة لبنانية:

- أخت يارا؟ أهلين، حمدا لله على السلامة.

- آسفة لاتصالي بك في هذا الوقت المبكر.

- حبيبتي أنا بانتظارك خارج القاعة، هل أنهيتِ إجراءات الوصول؟

- نعم.

- هيا، اخرجي وستجدينني أمامك .

وضعت سماعة التليفون، أشارت لطمطم أن تتبعها بعربة الحقائب، دفعت مقعد إبنها ومشت إلى خارج القاعة، وهي تحاول أن تتذكر ملامحها كما رأتها عبر كاميرا الإنترنت، فجأة رأتها عند البوابة تبتسم لها ملوحة بيدها اليمنى لتلفت نظرها، اتجهت إليها مباشرة، صافحتها نجوى بحرارة وقبلتها، صافحت طمطم ثم جلست القرفصاء أمام مقعد وائل، قبلت يده وداعبت خده بطرف إصبعها قائلة:

- كيفك وائل؟ سمعتك تنطق اسمي بطريقة جميلة، هيا، قل: نجوى.

- نجاااووااا.

- حبيبي وائل، أنت ولد جميل، إن شاء الله سنخلصك من هذا المقعد نهائيًّا.

- يا رب يا دكتورة نجوى.

حميمية اللقاء وملامح نجوى الشرقية، ولهجتها اللبنانية العذبة، جعلت يارا تفرح وتشعر باطمئنان، التفتت نجوى إليها وقالت مرحبة:

- نورت ميامي وأمريكا كلها أخت يارا.

- منورة بك والخيرين من أمثالك.

- تفضلي من هنا، سيارتي في الجراج.

وبكل تواضع ومحبة تناولت الدكتورة نجوى الحقائب، ووضعتها في مؤخرة سيارتها، وساعدت يارا على حمل وائل، ثم طوت مقعده، وضمته إلى الحقائب، ولم تفارق شفتيها الابتسامة الرقيقة، حتى اطمأنت لركوبهم السيارة وتحركت بها إلى خارج المطار، وطوال الطريق تشير إلى المعالم المميزة لمدينة ميامي، وتتحدث عنها بفخرٍ ومودة:

- مدينتنا من أكبر المدن السياحية على مستوى العالم، ولجمالها وغناها بالمناظر الطبيعية الخلابة يسمونها مدينة السحر، إن شاء الله سأرتب لك زيارات لأهم المعالم السياحية مثل: قلعة المرجان، حوض أسماك ميامي، جزيرة الببغاء، غابة القرود، حديقة النباتات، منتزه بايفرونت، مجمع دولفين مول وغيرها من المزارات الجميلة، أنا متأكدة أن ميامي فعلًا ساحرة وستعجبك.

- يكفي أن تكوني أنت فيها يا دكتورة نجوى.

- أشكرك، أعرف أن بالك مشغول جدًّا بعلاج ابنك ولكني أطمئنك بأن المركز الطبي الذي أعمل به له شهرة عالمية في علاج

الحالات الصعبة من الشلل الرباعي، وردت إلينا حالات أصعب من حالة وائل، وبفضل الله نجحنا في علاج نسبة كبيرة منها فعادت لهم القدرة على المشي والإدراك، ضعي ثقتك بالله.

- ونعم بالله، صدقيني، إحساسي الداخلي أن الله جمعني بك وبالأستاذ حاتم، لكي ينهي معاناتي أنا وابني على يديك.

- كلي ثقة بتوفيق الله وقد استبشرت حينما عرضت مشكلة وائل على أستاذي المشرف على رسالتي للدكتوراه، فتحمس وذلل كثيرًا من الصعاب رغم أنه مشهور بالقسوة على طلابه، لذلك استشعرت الطمأنينة والثقة بتوفيق الله.

- إن شاء الله ستنجحين وتحققين آمالك وأحلامك.

- وحاتم هل حقق نجاحًا بالبنك عندكم؟

باغتها سؤال نجوى عن حاتم، وأعادها إلى المربع الأول لتدرك أنها تتحدث إلى زوجة تحب زوجها وتسأل عنه متمنية له النجاح، وهو أيضًا أحبها وأنجب منها ابنته وما زال يتحدث عنها بكل احترام وتقدير، حتى وإن اختلفا في الرأي حول سفرها إليه، وحتى لا تلحظ نجوى ترددها أو ارتباكها، سارعت بالقول:

- مشكلة حاتم بك أنه تسلَّم رئاسة البنك بعد رجل حقق نجاحًا باهرًا ونقل البنك نقلة نوعية غير مسبوقة، وهذا يستلزم منه بذل جهد كبير للحفاظ على مكتسبات البنك خاصة أنه غير مُطَّلع على المعوقات المحلية لأنه اعتاد النمط الغربي في الإدارة.

- وهذا دوركم لتساندوه وتدعموا رؤيته حتى ينجح.

- أنا عن نفسي لم أبخل عليه بالنصيحة وأطلعته على دراسة كنتُ قد أعددتُها لتطوير البنك فأعجبته لدرجة أنه رشحني لوظيفة نائب رئيس البنك.

- يااااه، إذن فأنت ملازمة له بالعمل ولست مجرد موظفة بالبنك؟!

استشعرت يارا بوادر الغيرة النسائية تلوح من وراء سؤال نجوى، وتوقعت أن تجرها لمنطقة لا تحب التحدث عنها، فردت باقتضاب:

- تصوري أن ضغط العمل يجعلنا لا نلتقي أو يرى أحدنا الآخر إلا تخاطيف باجتماع أو للتوقيع على بعض المعاملات، رغم قرب مكتبي من مكتبه!

- إذن حاتم مشغول طول الوقت.

- جدًّا.

فكرت يارا أن تسألها عن نظام المستشفى لمجرد أن تغير مجرى الحديث، ولكنها فوجئت بالسيارة تتوقف أمام برج سكني فخم، والتفتت إليها نجوى بابتسامتها المشرقة:

- أهلين.. وصلنا، هذا شارعنا "كولنزأفينيو"، وهذه عمارتنا رقم ١٧، تفضلي.

لفت نظرها مستوى النظافة والفخامة، من رصيف الشارع، لبهو العمارة، للمصعد، فتحت الباب طفلة جميلة، تحمل بعض ملامح حاتم، فعرفتها يارا ومالت تقبلها:

- زوزو حبيبتي.. وردة ماما وبابا أنت، ربي يحفظك ويبارك فيك.

- تفضلوا، خذوا راحتكم، البيت بيتكم.

قالتها نجوى وهي تدعوهم للجلوس بغرفة المعيشة، تأملت يارا الشقة بنظرة خاطفة وقالت:

- ما شاء الله، ذوقك رائع في اختيار ألوان الأثاث والستائر والتابلوهات على الجدران وكذلك السجاد والنجف، لمستك الأنثوية راقية وتنضح بتذوق فني رفيع.

- شكرًا.. في الحقيقة، لو سمعك حاتم سيفرح لأن معظم هذه الأشياء من اختياره.

- كلها اختيارات موفقة جدًّا وجميلة.

- والآن تفضلي إلى غرفتك لتبدلي ملابسك.

- لا، سنشرب معك الشاي ثم ننتقل إلى الفندق.

- حبيبتي أنا أمريكية بالمواطنة، ولكن الدم الذي يجري في عروقي دم عربي، هل لو أتيت لزيارتك تتركينني أنزل بالفندق؟

- لستُ وحدي يا دكتورة نجوى، نحن ثلاثة: أنا وطمطم وابني.

- اليوم فقط ومن الغد ستكون الغرفة لك وحدك.

- كيف؟

- غرفة وائل بالمستشفى بها سرير لطمطم لأنها سترافقه كممرضة، وتبقين أنت رفيقتي هنا وحيثما أذهب، وهذه فرصتي

لأطمئن منك على حبيبي حاتم وتحدثينني عما يفعله في غيابي وكيف يقضي وقته دوني.

- اطمئني، فهو يحقق نجاحًا ولا ينقصه إلا أنت وفلذة كبده "زوزو".

- سفر حاتم ترك فراغًا كبيرًا لنا وكان المفروض أن ألحق به، لكن ظروفي لم تسمح، أعرف أنه يشعر بأنني خذلته وجعلته يعاني الوحدة، لكن لم يكن أمامي خيار آخر وإلا سأتخلى عن طموحي العلمي والوظيفي.

- أكيد ستمضي الأيام وتنضمين إليه ويجتمع شمل العائلة مرة أخرى.

- إن شاء الله.. تفضلي، غرفتك من هنا، وأمامها غرفة المكتبة، سيعجبك ما فيها من كتب ومراجع دينية.

بدلت يارا ملابسها، التفتت إلى وائل على السرير فوجدته قد استغرق في النوم، تركت طمطم تكمل ارتداء ملابسها، دخلت الحمام الملحق بالغرفة، توضأت وخرجت، تناولت سجادة الصلاة المطوية على مخدع "الصُّفة" (كنبة تتحول إلى سرير)، حددت اتجاه القبلة بالموبايل، فردت السجادة ناحية المشرق، صلت ودعت الله أن يكتب لابنها الشفاء، تركت السجادة لكي تصلي طمطم عليها، جلست على الكنبة، تذكرت حديث نجوى الذي يفوح بالحب والإخلاص لحاتم، شعرت بأنها في ورطة، وأنها ما كان يجب أن تتعلق بحب حاتم وتحلم بالزواج

منه، فهذه المرأة الطموح هي زوجته وأم ابنته وتحمل له حبًّا حقيقيًّا، ربما لا تجيد التعبير عنه، ربما تُعطي طموحها الأولوية، لكنها تحبه، فكيف تسمح لنفسها أن تأخذه منها، كيف تقابل إحسان نجوى ورقة مشاعرها وذوقها، بخطف زوجها، أيكون هذا ردها على من تعاطفت معها وتساعدها بإخلاص؟! وهل سيوفقها الله ويُعيدها مجبورة الخاطر لو أساءت لامرأة طيبة ومسالمة كهذه؟! أحست يارا بغصة في حلقها وابتلعت مرارة الندم، شعرت بحقارتها كأنها دودة حشرت نفسها بين قرصي رحى، كيف سمحت لنفسها أن تحبُّ رجلًا متزوجًا، حتى لو أقنعها أنه لا يريد زوجته، كيف لم تفكر في مصير امرأة مثلها، أوصلت بها الأنانية أن تخطف رجلًا من زوجته وابنته؟!

غامت الدنيا في عينيها، شعرت بصداع يدق رأسها بمطارق حادة، داخت ومالت بجنبها، ثم وقعت على الأرض، نادتها طمطم وانحنت تفحصها:

- سيدتي، ماذا بك..سيدة يارا؟

جرت خارج الغرفة تنادي:

- دكتور.. دكتور..أنقذي سيدتي..

لم تفهم الدكتورة نجوى ما تقصده طمطم ومع إلحاحها مشت وراءها، حيث فوجئت بمنظر يارا، أمسكت معصمها فأحست نبضها، أجرت لها بعض الإسعافات الأولية ورشت على وجهها زخة عطر، شهقت يارا وفتحت عينيها، ساعدتها نجوى على الجلوس وسألتها برقة:

- يارا حبيبتي، كيف حالك؟ بماذا تشعرين الآن؟

- أصابني دوار ولم أدرِ بنفسي.

- تعالي، اجلسي على الكنبة هنا، سأحضر الجهاز وأقيس لك ضغط الدم.

أظهر الجهاز أن معدل الضغط عندها طبيعيًّا، فاقترحت عليها الدكتورة أن تتناول قطعة كيك مع الشاي ثم تبتلع قرصًا مسكنًا حتى لا يعاودها الصداع مرة أخرى، واعتبرت السبب هو قلقها الزائد على ابنها، لذلك حاولت التخفيف عنها، فدعتهم لتناول الغداء بمطعم شهير، ثم أخذتهم في جولة بجزيرة الببغاء، حيث شاهدوا أجناسًا وأشكالًا وسلالات من الطيور والببغاوات والعصافير الملونة والبلابل يندر أن تجتمع هكذا في مكان واحد مليء بالأشجار والزهور وأبصال الصبار الهائلة، وفي المساء توجهوا إلى "بيي سايد ماركت بالاس " المطل على مياه المحيط، فتمتعوا بالمشي على الشاطئ، وتناولوا العشاء، ثم عادوا ويارا لديها تصور لما سيحدث في المستشفى صباح الغد، لذلك حرصت على تجهيز ملابس وائل في حقيبة لتحملها طمطم مع ملابسها، استعدادًا لإقامتها معه بالمستشفى.

(١٧)

في الصباح الباكر جلست يارا باستراحة المستشفى، بينما صحبت طمطم الدكتورة نجوى لعمل الفحوص والتحاليل لوائل، وتجهيزه لإجراء العمليات الجراحية، كانت نجوى قد شرحت ليارا نوع العمليات التي سيحتاجها وائل وتسلسلها واعتماد كل جراحة على نجاح ما سبقتها، اعتصر قلبها الألم وهي تفكر في الجراحات الدقيقة التي سيتعرض لها وائل، رغم تأكيد نجوى أن التخدير والمسكنات ستحمي وائل من الشعور بالألم، فإن قلب الأم لا يحتمل أن يخدش جلد طفلها أوتسيل نقطة من دمه، انتابها التوتر والقلق، أخرجت المصحف من حقيبتها، حصرت كل تفكيرها في استيعاب الآيات وفهمها، والتوقف بعد كل سورة للدعاء بأن يشفي الله طفلها ويكتب له السلامة، مَرَّ الوقت بطيئًا ثقيلًا، ملت يارا وضاقت بطول الانتظار، فكرت أن تستفسر من طمطم، وقبل أن تضغط زر الموبايل، لمحتها

قادمة نحوها وبيدها بعض الأوراق، وقفت وفي عينيها وعلى لسانها عشرات الأسئلة، عطلتها كلها عبارة طمطم:

- التحاليل كلها جيدة وأدخلوا وائل غرفة العمليات.

- غرفة العمليات؟! بسرعة هكذا؟!

- هنا لا يضيعون الوقت، دكتورة نجوى تريدك أن توقعي هذه الموافقات.

- اشمله بلطفك وعنايتك يا أرحم الراحمين.

رددتها يارا في سرها وهي تلقي نظرة سريعة على الأوراق، وقعتها فأخذتها طمطم ورجعت من حيث جاءت، واصلت يارا قراءة القرآن الكريم، مضى الوقت بين الابتهال والدعاء والقراءة والصلاة وهي جالسة في مكانها، شعرت بالجوع، تذكرت الكيس الذي اشترته لها نجوى وهما في الطريق إلى المستشفى، فتحته وأخرجت ساندوتش همبرجر، علبة مياه غازية، زجاجة ماء، أكلت وهي لا تشعر بطعم الأكل، كانت شاردة الذهن، مشغولة البال، تعلم أن أول عملية جراحية تجرى لابنها ستكون في المخ، تخيلتهم وقد حلقوا شعره، ورفعوا الجلد عن عظام الجمجمة، ثم نزعوا عظمة سقف الجمجمة ليزيلوا بقعة الدم المتجلط تحتها وفوق مركز العصب الحركي منذ عملية الولادة ويقوموا بتنظيف الدورة الدموية وتنشيطها، لتحفيز العصب على التقاط الإشارات والتجاوب معها، كانت نجوى قد شرحت لها ما

ستقوم به تحت إشراف أستاذها وبمشاركة فريق عمل من أمهر أطباء المستشفى، دعت الله أن يوفقهم ويلهم أصابعهم أن تصلح ما أفسدته طبيبة التوليد، استغرقتها قراءة القرآن الكريم، ومضى الوقت بطيئًا كالمسافر على ظهر سلحفاة، فجأة انتبهت لطيف طمطم تقترب ولما واجهتها ابتسمت لتطمئنها:

- سيدتي، الحمد لله، خرج وائل من غرفة العمليات.

- هل أستطيع أن أراه؟

- نعم، نقلناه إلى غرفته، تفضلي..

قامت يدفعها الشوق واللهفة للاطمئنان على طفلها، دخلت الغرفة فندت عنها شهقة فزع لرؤية الطفل ممددًا على الفراش ورأسه ملفوفة بالأربطة، لا يظهرمن وجهه إلا دائرة صغيرة حول العينين والأنف والفم، وتمتد من رأسه أسلاك متصلة بأجهزة متراصة وراء السرير، كما تنغرس في ذراعه إبرة كانيولا، يخرج منها أنبوب متصل بقنينة محاليل معلقة بجوار السرير، ضربت يارا بيدها على صدرها في حسرة قائلة:

- حبيبي يا ابني!

ثم أجهشت بالبكاء، كانت الدكتورة نجوى تراقب عدادات ومؤشرات الأجهزة، وتلفت نظر زميلها لإحدى القراءات الخاصة بالموجات الصادرة عن المخ، لكنه هز رأسه ليطمئنها مرددًا كلمة "normal"، التفتت إلى يارا، توجهت إليها بابتسامة:

- حبيبتي، لا تبكي، ابنك محظوظ لأن الشريان المُغذي للعصب لم يمت وهذا ما كنت أخشاه.

- هل أنتِ مطمئنة؟

- جدًّا، عناية الله أرسلتك إلينا في الوقت المناسب، ندعو الله أن نكمل مهمتنا بنجاح ليتعافى ويصبح طفلًا سويًّا.

- بإذن الله.

- أريدك أن تبتسمي وتفرحي بهذه البداية المبشرة.

- اعذريني، تعرفين قلب الأم، وهذه جراحة قوية ومؤلمة.

- انظري، هذا سريره وهذا سرير ممرضته طمطم، ستبقى معه وتساعدها ممرضة المستشفى التي كتبت لها خطة علاجية لن تجعله يحس بالألم أبدًا.

- تمنيت لو أسهر أنا معه.

- وجودك هنا لن يفيده، أما طمطم ستعطيه الحقن في موعدها تحت إشراف ممرضة هذا القسم، وتخلط جرعات المسكن بالمحلول حسب الجدول المرفق هنا، اطمئني ابنك بأعيننا.

- بارك الله فيك وجزاك عنا خير الجزاء.

- ما زلت بملابس غرفة العمليات، انتظريني بالاستراحة، سأبدل ملابسي ونذهب سويًّا إلى البيت حتى لا نتأخر على زوزو.

- أهي وحدها بالبيت؟

- نعم، ترجع من المدرسة، فتسخن طعامها في الميكروويف وتأكل ثم تكتب واجباتها المدرسية حتى أرجع.

- لكنك اليوم تأخرت عليها كثيرًا.

- ليست مشكلة، زوزو تعرف التزامات مهنة الطب.

- ربنا يحفظها وتكبر لتكون طبيبة مشهورة مثلك.

- لا، ميولها فنية، تهوى الرسم، تفضلي وبعد لحظات سـألحق بـك في الاستراحة.

رجعا إلى البيت ونجحت نجوى في إشاعة روح التفـاؤل في نفـس يارا فهدأت واطمأن قلبها، عرضت عليها زوزو أحدث اللوحات التي رسمتها، وكان منظرًا طبيعيًّا، استوحته الفتاة الموهوبة من جزيـرة غابـة الببغاء، تعجبت يارا وسألتها بدهشة:

- زوزو.. هل أنت وحدك من رسمت هذا المنظـر الجميـل ودون مساعدة من أحد؟

- طبعًا، هل يعجبك؟

- جدًّا، إنه رائع.

- لكنه لا يعجبني.

- لماذا؟

- ألا تلاحظين وجود خلل في توزيع الكتل وتباين الألوان على جانبي الصورة؟

لم تستوعب يارا ما قالته الفتاة، فتأملتها باستغراب قائلة:

- بأي مرحلة تعليمية تدرسين؟

- أنا بالصف السابع.

- رفيقاتك عندنا في أول المرحلة المتوسطة ولكن شتان..

- لم أفهم قصدك.

- أقصد أن ما ترسمينه الآن وأنت بهذه السن يدل على أنك فنانة موهوبة.

- لكنه لا يعجبني وأفكر أن أنقل هذه الشجرة للجانب الآخر وأجعل ألوان هذه الناحية أكثر قتامة كأن ألقي عليها بعض الظلال، فأحقق التوازن المطلوب.

- نعم هذا حل جيد.

- إذن كيف أجعل مصدر الظلال أحد مكونات الصورة؟

- زوزو، حبيبتي، هل يسألك مدرس الرسم عن كل هذه الأشياء؟

- طبعًا، وإلا فلماذا يتعب نفسه ويشرحها لنا؟

- الآن فقط عرفت لماذا نحن متخلفون عن باقي الأمـم، التعلـيم هنا يفجر مواهب الأطفال وعندنا يحبطهم ويطمس مواهبهم وقـدرتهم على التفكير والابتكار.

- هل قلتِ شيئًا يا خالة؟

- أفكر بصوت مرتفع وبداخلي صرخة مكتومـة لا أعـرف كيـف أخرجها.

- وجدتها..

- أتعرفين مَن العالم الذي اشتهر بكلمة وجدتُها؟

- أرشـميدس عنـدما اكتـشف قـانون الطفـو، لكننـي وجـدتُها فعلًا..انظري، سأجعل هذه الـشجرة كبـيرة لتحجـب الـضوء وتُلقـي ظلالها على هذا الجانب.

- وقد تُلقي ظلالها هنا.

- لا يا خالة، ألم تدرسي مسقط المنظور؟

- أرجوك يا زوزو، لا تعقديني أكثر من ذلك.

- كانت نجوى تجهز العشاء بالمطبخ وتستمع لحوار ابنتها مع يـارا فانفجرت بالضحك، أقبلت فوضعت الصينية عـلى منـضدة أمـام يـارا وهي تكمل ضحكتها ثم قالت:

- يارا حبيبتي، دعك من هذه الفنانة الصغيرة، فهي لا تستقر على حال، ألم يقولوا: الفنون جنون؟!

- بالعكس، أنا معجبة بها جدًّا..ما شاء الله عليها.

- فلنأكل قبل أن تبرد هذه الرقائق بعد أن تشرب كل الحليب.. تفضلي، هذا صحنك.

- إنه كبير ولن أقدر..

- لا اطمئني، فسعراته قليلة، طعمه لذيذ، سيعجبك، بألف هنا.

بعد العشاء، قامت زوزو من تلقاء نفسها، حملت الصينية ودخلت المطبخ، فغسلت الأطباق، تناولت نجوى اللاب توب وفتحته قائلة:

- سنفتح هذا، لأن حاتم سيتحدث إلينا ليطمئن على صديقه وائل.

للمرة الأولى لم تبتهج يارا لسماع صوت حاتم، بل توترت وخافت أن تند منه كلمة أو يبدو عليه انفعال يكشف لنجوى طبيعة العاطفة القوية والحب الجارف الذي شَبَّ في قلبيهما، لذلك ارتبكت وجف حلقها، ثم أرهفت سمعها تحلل كل كلمة وهمسة تقولها نجوى ردا على كلامه، وتتطلع إليها لتقرأ ملامح وجهها، ولما جاء دورها، تعمدت أن تكون كلماتها مختصرة وتنصب على حالة وائل وأفاضت بمدح الدكتورة نجوى كثيرًا ولما انتهت المكالمة حمدت الله وتنفست الصعداء ، فلم يتخللها ما يستدل منه على وجود عاطفة بينها وبين حاتم، وهذا بحد

ذاته كان مصدر توترها وتأنيب الضمير الذي صاحبها حتى وهي نائمة في السرير، ففي سكون الليل شعرت بأنها سرقت شيئًا لا تستحقه، وأن صرحًا هائلًا كانت قد بنته بخيالها، أخذ ينهار ويتداعى مُحدِثًا في أعماقها جلبة، وإزعاجًا لا تقدر على تحمله، تقلبت في السرير، وعَزَّ عليها النوم فقامت وتوضأت لتصلي وتدعو الله أن يمنحها السكينة ويهديها للخير، تمددت وهي تردد قصار السور حتى مسها النعاس واستغرقت في النوم، لكن روحها الوثابة أبت أن تهدأ وتركن للسكينة فانطلقت، وطافت لتجمعها في المنام بالعاشق الولهان، أتي بلمساته الحانية وصوته الدافئ، ليعيد إليها سكينتها ويقيم صرح خيالها من جديد، رأته في المنام يقبل عليها باسمًا ويسألها معاتبًا:

- ماذا بك يا حبيبتي ولماذا تديرين وجهك عني؟

- حلني من وعدي لك بالزواج.

- لماذا، ألا تثقين بحبي لك؟

- نجوى تحبك يا حاتم.

- وأنا أحبها.

- إذن لا مكان لي بينكما.

- لا تسبقي الأحداث، فأنا حريص على إسعادك وإسعادها وقلبي يتسع لكما معًا.

- كيف ولم يخلق الله للرجل من قلبين في جوفه.

- لكنه قادر أن يبارك قلبي ويجعله يتسع لحبكما معًا، فتتآخى كل منكما ولا تغار من أختها.

- هذا ليس من طبع النساء.

- أليس الله بقادر على تغيير نواميس الكون وسننه المعتادة، فلِمَ لا يغير طبعكما وينزع منكما الغيرة، وتأملي المرأة وهي حامل، إذ يخلق الله في جوفها قلبين، قلبها وقلب الجنين، وقد يصبحا ثلاثة أو أكثر في حالة التوائم، فلماذا لا يجعلني الله سببًا لمحبتكما أنت ونجوى لدرجة أن تشتاق لرؤيتك فتزورني عندك وأنت أيضًا تسافرين معي للقائها.

- هذه مثالية مفرطة، أنت تحلم.

- معظم الأحلام النافعة تحولت إلى حقيقة، واستفاد منها البشر، كما ستستفيد ابنتي وابنك من تكبير أسرتنا.

- خرجت من تجربة زواج فاشلة ولا أريد أن أتجرع مرارة الفشل من جديد.

- ثقي بي ولا تكوني كمن لسعتها الشوربة فنفخت في الزبادي.

- لا، لا، لا..

- وقامت تتلفت حولها وهي جالسة في السرير.

(١٨)

مَرَّ بعقلها شريط الـذكريات، اختلطـت لحظـات الفـرح بمـشاعر الإحباط، امتزجت الرؤى بالأحلام، احتدم الصراع في عقلهـا بـين مـا يصحُّ وما لا يصحُّ، بين ما كانت تحلم بـه ومـا يجـب أن يكـون، أخـيرًا حزمت يارا أمرها واتخذت القرار الصعب، فالحياة نعيشها مـرة واحـدة وها هي الفرصة قد حانت وبانت لها بوادر ابتسامة الحيـاة، بعـد يـومين نفذت يارا قرارها، حزمت حقائبها وودعت نجوى التـي أصرت عـلى توصيلهم للمطار، لكن الرحلة هذه المرة كانت مختلفة تمامًا، رحلة عـلى أجنحة البهجة، رحلة غاب عنهـا القلـق والـتجهم والحـزن، ورفرفـت حولها طيور السعادة والأمل، وكان من الطبيعـي أن يعـرف حـاتم مـن زوجته موعد سفرهم، فيُجري اتصالاته بالمطار، ويعرف موعد وصول الطائرة، فيتوجه إلى المطار، وتُفاجأ يارا بصوت حاتم يناديهم:

- وائل.. وائل..

بتلقائية شديدة وعرفانًا بجميله وجدت يارا نفسها لا تكتفي بمصافحته وقبلته في خديه، انحنى يقبل وائل ويسأله:

- هل تذكرني يا وائل؟

- عمو حاتم..

- حبيبي، ألف مليون سلامة يا غالي.

ركبوا سيارته وطوال الطريق إلى بيتها، وحاتم يفكر في ترتيبات زواجه بيارا، فقد انحلت عقدتها وعادت بابنها طفلًا سويًّا يمشي ويتكلم بحيوية ويسر، ولولا خجله من وجود وائل وطمطم لسألها عن موعد زواجهما، لكنه انتظر على أَحَرِّ من الجمر حتى ينفرد بها، ولما وصلوا إلى شقتها أصرت على تناوله الشاي معهم، ففرح ووجدها فرصة للاتفاق على ترتيبات الزواج والفرح، لكنها فاجأته وهي تناوله فنجان الشاي بقولها:

- بدون قسم أو حلف، صدقني أنت أغلى إنسان وأحب رجل لي في الوجود كله.

- آه لو تدرين كم أحببتك وحلمت باليوم الذي يجمعنا فيه عش الزوجية.

- لكني بكل الحب أرجوك أن تصرف نظر عن مسألة الزواج هذه.

- هه، يارا.. ماذا حدث؟ ما الذي غيرك؟

- أقسم بالله إني ما زلتُ أحبُّك وسأظل أحبك طول العمر.

- ومَن تحب رجلًا ترفض الزواج به؟

- أيصحُّ أن تتزوج أخت زوجتك نجوى؟

- كيف؟ أتقولين ألغازًا؟

- أتـدري أن زوجتـك رفـضت إقـامتي بالفنـدق وأصرت عـلى استضافتي طوال الشهور الستة التي عشتها هنـاك، أتـدري أنهـا كانـت تسهر أكثر مني لرعاية ابني؟ لقد أكرمتني وفعلت معي أكثـر ممـا تفعلـه أخت لأختها..

- نعم، نجوى عملت بوصيتي.

- لأنها تحبُّك وأنت أوصيتها بي خيرًا.

- نجوى تتصف بالكرم والجود و..

- لقد تآخينا وكل واحدة منا تشعر نحو الأخرى بمحبـة الأخـت الحقيقية حتى وإن لم تلدها نفس الأم.

- إذن فقد أقنعتك بوجهة نظرها واتفقتما عليَّ؟

- بدليل أنني أقنعتها بالعمل في مستشفى العطار هنا وكانت تنتظر انتهاء مراسم استلامها شهادة الدكتوراه لتفاجئك بمجيئها.

- أحقًّا ما تقولين؟

- نعم وقد كتبت لك هذه الرسالة.

- أخرجت من حقيبتها رسالة نجوى، قدمتها له:

- نجوى تعشقك يا حاتم.

فتح الرسالة وقرأها باهتمام ثم ابتسم وقال:

- معك الحق وأحييك على رُقي مشاعرك وأتمنى لك التوفيق مع أي زوج تختارينه.

- لا، فكرة الزواج ألقيتها وراء ظهري، وأرجو أن يوفقني الله في تربية ابني وأقدمه للإنسانية رجلا قويًّا، يساعد الضعفاء والمحتاجين ويبهج حياتهم.

- أيهوى الرسم كابنتي زوزو.

- يهوى الموسيقى، وتتجلى عظمة الله ورحمته بنا في أوتار وائل التي كانت معطلة لتصبح أوتارًا شديدة الحساسية في التعبير ونقل المشاعر المبهجة من خلال عزفه على الجيتار.

- سبحان الله! أتمنى أن يصبح عازفًا ذائع الصيت..

- هذه ستكون هوايته أما مهنته فسأعده ليكون مهندسًا أوطبيبًا وسوف أعود به إلى أمريكا لأوفر له تعليمًا متميزًا.

- وعملك معي بالبنك؟

- سأقدم استقالتي وأسافر لأتسلم عملي الجديد بأحد فروع بنك أمريكان إكسبريس.

- أوو.. يا لها من مفاجأة!

- في تلك الأثناء، كان وائل يعزف على جيتاره، فانسابت نغماته إلى آذانهم كشدو البلابل وتغريد الطيور، نظرت يارا لحاتم بسعادة وفخر وعيناها تبرقان بالدمع، هَزَّ حاتم رأسه طربًا وصاح قائلًا:

- الله، ما أروع أوتار البهجة! اعزف يا وائل، اعزف وطهِّرنا من الهموم.

وما زال الفنان الصغير يعزف، وسيبقى يعزف ويعزف إلى ما شاء الله.

(تـــــمـت بحمد الله)

سيرة ذاتية

- الاســـــــم : **عبد المقصود محمد عبد المقصود**.
- اســم الشهرة : **عبد المقصود محمد**
- مــن مواليــد محافظــة الــشرقية بجمهوريــة مــصر العربيــة في عــام ١٩٥٥م.
- تخرج في كلية الإعلام جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- درَّس فن السيناريو وتاريخ السينما في معهد الفنون الجميلة ببغـداد من ١٩٨٢ حتى ١٩٨٧م.
- عمــل مــديرًا عامًّــا للــدراما والــبرامج الخاصــة بإذاعــة الــشباب والرياضة من ٢٠٠٩م إلى ٢٠١٥م.
- عضو اتحاد كتاب مصر.. روائي وكاتب مـسرحي وكاتـب أطفـال وكاتب سيناريو.
- كتب عشرات المسلسلات للإذاعة والتليفزيون وفاز بعدة جوائز.
- حاليًا يكتب النقد الأدبي والنقد الفني بالصحف والمجلات .

المؤلفـات:

١) **"إذا جاء الـشفق"** (سلـسلة روايـات مختـارة) هيئـة الكتـاب سـنة ١٩٧٧م.

٢) **"الطيور.. لن تعـود"** (سلـسلة روايـات الهـلال) دار الهـلال سـنة ١٩٨٥م ونشرتها هيئة الكتاب في (سلسلة الإبـداع العـربي) سـنة ١٩٨٦م.

٣) **"شـيرويت ع الإنترنـت"** (مـسرحية للكبـار) سلـسلة نـصوص مسرحية - هيئة قصور الثقافة سنة ٢٠٠٣م.

٤) **"لا سما ولا أرض"** – رواية – دار فكره سنة ٢٠٠٨م.

٥) **"أولاد حياك الله"** (رواية) دار وعد سنة ٢٠٠٩م.

٦) **"عثمان الحادي عشر"** (مجموعة قصصية) دار فكرة سنة ٢٠١١م.

٧) **"بيلسـان"** - رواية - دار نهضة مصر٢٠١٤م.

٨) **"سـريـة قنـدهـار"** (روايـة) دار غـراب للنـشر والتوزيـع ٢٠١٥م.

٩) **"أوتـار البـهـجـة"** – رواية- ٢٠١٨.

١٠) **"الأقصى ينهار"** (كتاب يفضح المخطط الصهيوني لهـدم المـسجد الأقصى) دار سطور ٢٠١٢م.

١١) **عركة ساندي بشندي** (مسرحية للكبار) سلسلة نصوص مسرحية- هيئة قصور الثقافة٢٠١١م.

وكتب للأطفال:

١) **رسالة من الكوكب الأزرق** (جائزة سوزان مبارك) هيئة الكتاب سنة ١٩٨٩م.

٢) **العالم أصبح قرية** -- تبسيط علوم -- (جائزة سوزان مبارك) هيئة الكتاب سنة ١٩٩٢م.

٣) **الفانوس العجيب** -- رواية للفتيان -- (جائزة سوزان مبارك) هيئة الكتاب سنة ١٩٩٦م.

٤) **أميرة ضوء القمر** - حكايات شعبية من اليابان - دارثقافة الأطفال في بغداد سنة١٩٨٥ / وكتاب الهلال للأولاد والبنات سنة ١٩٩١م.

٥) **أسرار القرن العشرين** (كتاب الهلال للأولاد والبنات) دار الهلال سنة ١٩٩٩م ونشرته في طبعة ثانية بعنوان (عظماء غيروا العالم) سنة ٢٠٠٧م.

٦) **شاطئ الحلم الجميل** (مسرحية للأطفال) تحت الطبع.

٧) **الصياد الصغير** (رواية مترجمة للفتيان) دار ثقافة الأطفال بالعراق ١٩٨٦م.

٨) **مغامرة ميدو** (مسرحية للأطفال) تحت الطبع وعرضت على مسرح مصطفي كامل بالإسكندرية في صيف ٢٠٠٢ ثم انتقلت إلى مسارح الأندية والمكتبات العامة وقصور الثقافة ضمن فعاليات مهرجان القراءة للجميع.

٩) سامر والطبق الطائر (مسرحية للأطفال) تحت الطبع أخرجها الدكتور / محمد أبو الخير لمسرح التليفزيون سنة ٢٠٠٠م وفازت بجائزة مهرجان الإذاعة والتليفزيون السادس.

١٠) **النيل العظيم** (تبسيط علوم للأطفال) دار نهضة مصر٢٠١٣م.

١١) **المصباح الأزرق** (تبسيط علوم) – دار نهضة مصر ٢٠١٧م.

١٢) **المدينة من ذهب ورصاص** (رواية مترجمة للفتيان) دار ثقافة الأطفال بالعراق ١٩٨٦م.

١٣) **السينما: من الفانوس السحري إلى الرسوم المتحركة** (تحت الطبع).

١٤) **منه الداء وفيه الدواء** (تبسيط علوم) – تحت الطبع.

١٥) **نيللي ودوللي** (تبسيط علوم) – تحت الطبع.

١٦) **مغامرات أرنوب** (لسن من ٦:٩ سنوات) – تحت الطبع

١٧) **البحار الصغير** (قصة مصورة) – تحت الطبع.

١٨) **البيضة المضيئة** (قصص من الخيال العلمي) كتاب الهلال للأولاد والبنات – أغسطس٢٠١٤م.

١٩) **الجبال البيضاء** (رواية مترجمة للفتيان) تحت الطبع.

٢٠) **الدنيا لما تصحا** (مسرحية للأطفال) تحت الطبع.

٢١) **السفينة باز ١٢** (خيال علمي) تحت الطبع.

٢٢) **سر السعادة** (قصة للأطفال) تحت الطبع.

٢٣) **قرية تنتظر المطر** (قصة للأطفال) تحت الطبع.

٢٤) **رحلة حسن الطحاوي** (رواية للفتيان) – unlimited press – أغسطس ٢٠١٥م.

٢٥) **زياد والوحش** (قصة للأطفال) – unlimited press – يوليو ٢٠١٦ م.

٢٦) **المغامر الصغير** (قصة للأطفال) تحت الطبع.

٢٧) **وردستان** (قصة للأطفال) – unlimited press – يوليو ٢٠١٦م.

للتواصل:

abdelmaksoudradio@gmail.com

mobile: 0201006517563 in Cairo

+971527196603 in Dubai